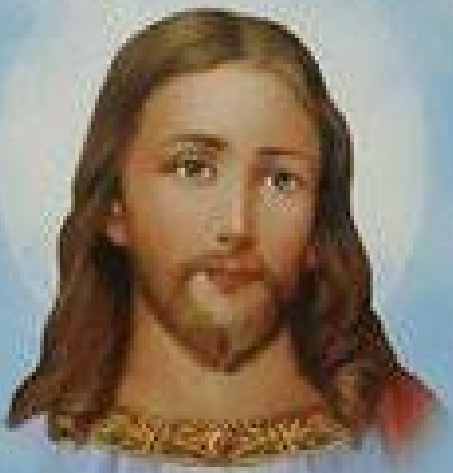

# ... وكُلُّ ما يَصْنَعه يَنْجَحُ



البابا تواضروس الثاني

# ... وَكُلُّ مَا يَصْنَعُه يَنْجَحُ

البابا تواضروس الثاني

صورة الغلاف هى ترجمة مصوّرة لِنَص المزمور الأول:

"... فيكونُ كَشَجرةٍ مَغروسَةٍ عِندَ مَجارِي المياهِ، التي تُعطِي ثَمَرَها في أوانِهِ، ووَرَقُها لا يُذبُلُ. وكُلُّ ما يَصنَعُهُ يَنجَحُ ..."


اســـم الكتـــاب: ... وَكُلُّ مَا يَصْنَعُه يَنْجَحُ

إعـــــــــداد: البابا تواضروس الثاني

الناشـــــــــر: بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة

تصميم الغلاف، فصل الألوان، وطباعة:

مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط

موبايل: ٠١٢ ٢٢١٥٢٨٥٦ & ٠١٢ ٠٥٥٥٠٤٤١ & تليفاكس: ٠٣ ٤٥٩٦٤٥٢

رقـــم الإيـــداع: ٢٠١٦/١٩١٧٦

الترقـيم الـدولي: I.S.B.N.: 978 - 977 - 334 - 230 - 2

صاحب الغبطة والقداسة

# البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٨

# مقدمة

## ... وَكُلُّ مَا يَصْنَعُه يَنْجَحُ

الحياة الناجحة هيَ سلسلة من ثلاث محاضرات أُلقيت في الاجتماع العام. تشمل ثلاث فضائل أو نِعَم، تُعتَبَر مفاتيح للحياة الناجحة وهيَ:

**الفكر المنفتح ... القلب المتَّسع ... الروح المتَّضع ...**

خلال مواقف الحياة المختلفة نحتاج هذه الثلاث، لتسندنا في الطريق. لكي نسير في الحياة من نجاح إلى نجاح.

يقول القديس يوحنا في رسالته الثالثة (الأصحاح الأول عدد ٢):

**"أَيُّها الحَبيبُ، في كُلِّ شيْءٍ أَرُومُ أَنْ تكُونَ ناجِحاً وصَحِيحاً، كما أَنَّ نفْسَكَ ناجِحَةٌ".**

والنجاح في الحياة ليس نجاحاً روحياً فقط أو اجتماعياً فقط أو دراسياً، إنما هو يشمل كل جوانب الحياة، لكي ما تصير كاملاً.

والقديس مار أفرام السرياني يقول في صلاته: "دبر سفينة حياتي بوصاياك، وأعطِني فهماً لكي أتاجر بالوزنات وأنجح ما دام لي الوقت، قبل أن يُقال لي: هَلُمَّ أرِني تجارة زمانك".

الحياة الناجحة هيَ حياة نبحث عنها في مسيرة حياتنا في طريق الملكوت.

الرب يستخدم هذه الكلمات لمجد اسمه القدوس في حياة الكثيرين، بشفاعة أُمِّنا العذراء مريم، وكاروز ديارنا المصرية مارمرقس الرسول.

ونعمته تشملنا جميعاً.

عيد العذراء

أغسطس ٢٠١٦

**البابا تواضروس الثاني**

# تمهيد

**"نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الجَاهِلَ حَكيماً. وصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفَرِّحُ القَلبَ. أمرُ الرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ العَينَينِ. خَوْفُ الرَّبِّ نَقِيٌّ ثابتٌ إِلى الأبدِ. أحكَامُ الرَّبِّ حَقٌّ عَادلَةٌ كُلُّهَا. أَشْهَى منَ الذَّهَبِ والإِبرِيزِ الكَثِيرِ، وأحلى من العَسَلِ وقَطْرِ الشَّهَادِ. أيضاً عَبْدُكَ يُحَذَّرُ بهَا، وفي حِفْظِهَا ثوَابٌ عَظِيمٌ. اَلسَّهَوَاتُ مَنْ يَشْعُرُ بها؟ منَ الخَطَايَا المُسْتَتِرَةِ أبرِئني. أيضاً من المتكَبِّرِينَ احْفَظ عَبْدَكَ فَلا يَتَسَلَّطُوا عليَّ. حِينَئِذٍ أكُونُ كَامِلاً وأتبرَّأُ من ذَنبٍ عَظِيمٍ. لِتَكُن أَقْوالُ فَمِي وفِكْرُ قَلْبي مَرضِيَّةً أمامكَ يَارَبُّ، صَخْرَتِي وَوَلِيِّي"** (مز ١٩ : ٧ ـ ١٤) .

جميعنا نواجه مشاكل ومواقف، والعالم يتغير من حولنا، وكل شيء يجري بسرعة فائقة في حياة الإنسان، فنجد المواصلات السريعة، والمعلومات التي تنتقل بسرعة، والإعلام أو الميديا، حتى الطعام أصبح بسرعة، فهناك ما يُسمَّى بالطعام السريع "تيك أواي" **Take away**، وأصبحت حياة الإنسان كلها تسير بسرعة، وفي وسط كل هذا يواجه الإنسان بعض المشكلات، وهنا السؤال: كيف يقوم بحلّها في وسط كل هذا التغيير السريع؟!

نجاحات الإنسان تتوقَّف على مواقف، فلو كانت مواقفه خطأ بالتالي نتائجه خطأ، والعكس. وقد تظهر أمامنا كل يوم أشياء جديدة، ويكون الاختيار ما بين الرفض والقبول، أو اختيار أشياء منها، وهكذا ...

فمثلاً في التربية، ونحن نربّي أولادنا نُفاجأ بمواقف من أولادنا، ولا نعلم كيف نتعامل معها! وأحياناً الأب أو الأم يُخطئ خطأ حين يقول لابنه أو ابنته: "يا ابني عندما كنت في مثل سنك كنت أفعل كذا ..."، وبالتأكيد هذا

الكلام لا يصلح الآن! فقد مضى عليه أكثر من ٢٠ أو ٣٠ سنة، والدنيا قد تغيّرت.

وكثيراً ما تواجهنا مواقف في الكنيسة أو الخدمة أو العمل تحتاج حلول، أو مواقف المجتمع عموماً، وبالتالي نتساءل: ما هى المفاتيح التي تحل كل هذه المشاكل والمواقف المختلفة؟ وكيف يستطيع الإنسان أن يواجه أي موضوع أو مشكلة بطريقة صحيحة؟

بنعمة المسيح سنتكلّم عن ثلاث نعم أو ثلاث فضائل، ومن الممكن أن نطلق عليهم ثلاثة مفاتيح للحياة السليمة والحياة الناجحة، وهم: **الفكر المنفتح، والقلب المتّسع، والروح المتّضع.**

وهذه الثلاثة مفاتيح يمكن أن تحلّ أي مشكلة، وتجعلك دائماً تأخذ جانب الصواب، ولكن يجب أن تجتمع هذه المفاتيح الثلاثة سَوياً، وليس مفتاح بمفرده، وبالطبع مَن يمتلك الفكر المنفتح سيسعى لكي ما يكون له القلب المتَّسع، ومَن يمتلك هذين سينجح فيهما عندما يكون له الروح المتّضع.

# الفكر المنفتح

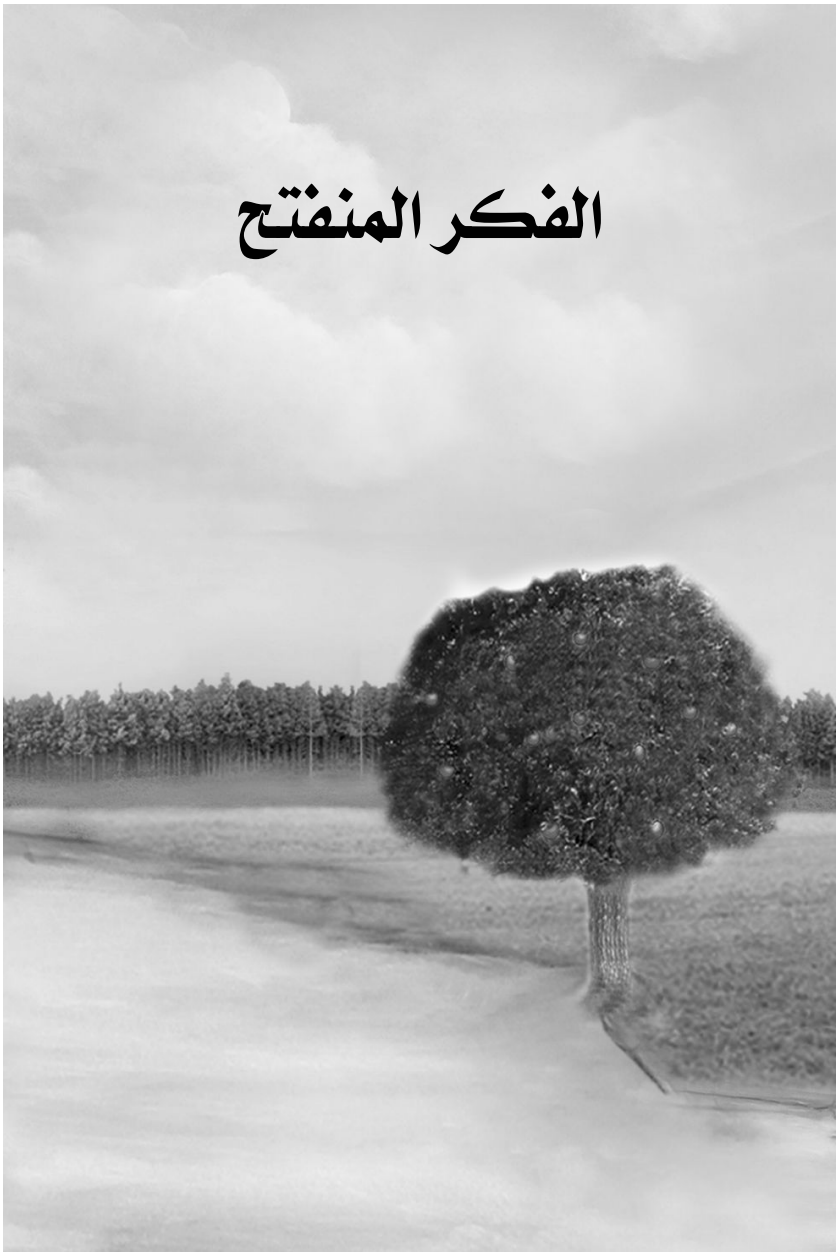

**"لتكُن أقوال فَمي وفِكر قلبي مَرضِيَّة أمامك يارب، صَخرتي ووليِّي" (مز ١٩ : ١٤).**

إن العقل الذي ميزنا به اللَّه هو نعمة وعطية وهِبَة من اللَّه لك أيها الإنسان، فقد أعطاك هذا العقل بمثابة نور، وأيضاً أعطاه لك حتى تُنمِّيه وتجعله يتّسع بالمعرفة.

وهو أيضاً زينة وجمال للإنسان، فمن الممكن أن نَصِفَ شخصاً فنقول: فلان عاقل أو فلانة عاقلة، أو نقول: فلان حكيم أو فلانة حكيمة، وأغلبنا دَرَسَ مَثل العذارى الحكيمات والجاهلات وشتان بين الاثنتَيْن.

كذلك العقل ميزان تَزِن به كل مواقف حياتك، لذلك جعل لنا الرب جهاز التفكير، حوله العينان والأذنان والأنف والحنجرة واللسان، وذلك حتى يَزِن كل حواس الإنسان.

لذلك نجد العقل المُنفَتِح لا يتعلّم من الأشخاص فقط، بل يتعلّم من الطبيعة والأشياء أيضاً، فمثلاً يحثّنا الكتاب المقدَّس أن نتعلّم من النملة، والنحلة. وهكذا في طريق حياتنا نتعلَّم من كل ما نراه أو نسمعه أو يمرّ بنا.

والعقل المنفتح لا يلتفت إلى الأثر الذي يتركه المركب خلفه في الماء، أو الأشخاص غير المناسبين الذين ظهروا في حياته السابقة.

عليك أن تعلم أيها الحبيب أن الخطية تأتي **وتُلوِّث العقل** فلا تجعله سليماً، وأحد أفعال الخطية الخطيرة أنها **تجعل العقل ضيقاً**، وهذه صفة صعبة جداً، فمثلاً نقول عن شخص: "فلان مُخّه مثل الحجر" وهذه صفة أصعب. فالخطية تجعل عقل الإنسان يصير ضيقاً، مثال لذلك المولود أعمى. الكل كان يعلم أنه أعمى والجميع رآه أعمى ويستعطي، لكن عندما شفاه السيد المسيح حيث خلق له عينَيْن جديدتَيْن، بدأ الفريسيين يُشكّكون في أنه كان أعمى! وأحضروا والديه وسألوهما: **"أهذا ابنُكما الذي تقولانِ إنَّهُ وُلِدَ أعمَى؟ فكيفَ يُبصِرُ الآنَ؟"** (يو ٩ : ١٩)، ثم أحضروا الأعمى ثانية وحقّقوا معه، رغم أن الحقيقة كانت واضحة، لكن عقلهم كان عقلاً ضيقاً لم يستوعب معجزة الشفاء، وكانت النتيجة أن هذا الأعمى وقف بشجاعة، وقال لهم: إني لا أعرف إلا حقيقة واحدة **"أنِّي كُنْتُ أَعْمَى والآنَ أُبْصِرُ "** (يو ٩ : ٢٥).

إن الخطية التي تلوث العقل وتُضيِّقُه، أحياناً تصنع ما هو أصعب، فهيَ تُغيِّب العقل، ويصبح الإنسان كأنه بلا عقل، وأحياناً يخاطب الإنسان نفسه إذا ما صنع شيئاً خاطئاً قائلاً: "أين ذهب عقلك؟!".

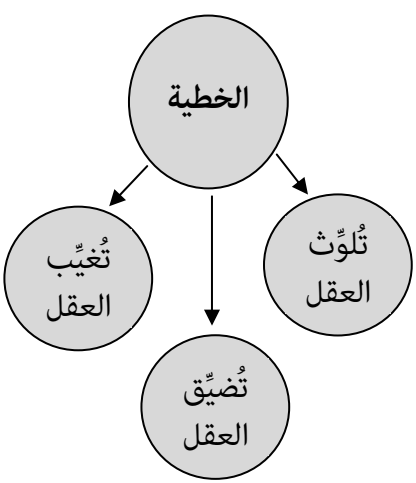


إن الخطية تجعل العقل لا يفكّر، وإن فكَّر يفكر بانحراف. فالخطية تجعل عقل الإنسان ضيقاً حتى لو كان هذا الإنسان متعلّماً وذا ثقافة عالية، وما أصعب خطية العقل الضيق!

**١ـ دانيال النبي والفتية الثلاثة: "أمَّا هؤلاء الفِتيَانُ الأربَعَةُ فأعطَاهُمُ اللَّهُ مَعْرِفَةً وعَقلاً في كُلِّ كتَابَةٍ وحِكْمَةٍ"** (دا ١: ١٧). لقد كان لهم العقل المتّسع والمنفتح؛ لأن اللَّه وهب الأربعة فتية معرفة وعقلاً مع حكمة في الأدب الكلداني والسلوك، لكن دانيال تميَّز عن زملائه بروح النبوّة، إذ وهبه اللَّه فَهماً للرؤى والأحلام، للكشف عن إرادة اللَّه وخطته.

دانيال والفتية الثلاثة كان لهم معرفة وعقل حكيم، لذلك نُمجِّدهم إلى اليوم، ونذكر سيرتهم وحياتهم في التسبحة في الهوس الثالث، ونقول لهم في قطعة أربسالين: (Ⲁⲣⲓⲯⲁⲗⲓⲛ) "رتلوا للذي صُلِبَ عنَّا وقام".

**٢ـ أبيجايل زوجة نابال الأحمق:** تصرَّفت هذه المرأة الحكيمة مع داود النبي بحكمةٍ. فقال لها: **"مُبارَكٌ عَقلُكِ، ومُبارَكَةٌ أنتِ"** (١صم ٢٥ : ٣٣)، فقد كان لها العقل المتسع والمنفتح والحكيم.

**وفي سفر الأمثال يقول: "فالآنَ أيُّها البَنونَ اسمَعوا لي. فطوبَى للذينَ يَحفَظونَ طُرُقي. اسمَعوا التَّعليمَ وكونوا حُكَماءَ ولا ترفُضوهُ"** (أم ٨ : ٣٢ ـ ٣٣).

**وفي سفر الرؤيا يقول: "ها أنا آتي سريعاً. طوبَى لمَنْ يَحفَظُ أقوالَ نُبوَّةِ هذا الكِتاب"** (رؤ ٢٢ : ٧).

**٣ـ المرأة الكنعانية:** عندما قال لها المسيح: **"ليس حَسَناً أن يُؤْخَذَ خُبزُ البَنِين وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَب"** (مت ١٥: ٢٦)، أجابت بإيمانٍ وحكمة وعقل مُنفتح وموزون، وروح متضع، وردّ لم يخطر على بال جميع السامعين، قائلة: **"والكِلاَبُ أيضاً تَأكُلُ من الفُتَاتِ الذِي يَسقُطُ من مَائِدَةِ أربابِهَا"** (مت ١٥: ٢٧)، فقال له المسيح: **"يا امرأةُ، عظيمٌ إيمانُكِ! ليَكُن لك كما تُريدينَ"** (مت ١٥: ٢٨).

**٤ـ زكا صاحب قرار حكيم:** نعلم أنه كان عشاراً ويسلك في الخطية، ولكن في اللحظة التي تقابل فيها مع السيد المسيح عقله انفتح وأَفَاقَ من غيبوبة الخطية، وبمجرّد أن عينيه وقعت على عين يسوع كل شيء فيه تغيَّر! لقد تجدَّد عقله وانفتح فقال: "**ها أنا يارَبُّ أُعطي نِصفَ أموالي للمَساكينِ، وإن كُنتُ قد وشَيتُ بأحَدٍ أرُدُّ أربَعَةَ أضعافٍ**" (لو ١٩: ٨)، وكان قراره قراراً حكيماً.

**٥ـ بولس الرسول** (شاول الطرسوسي): لما تقابل مع الرب في طريق دمشق: "**قال وهو مُرتَعِدٌ ومُتَحَيِّرٌ: يارَبُّ، ماذا تُريدُ أنْ أفعَلَ؟**" (أع ٩: ٦).

فكان ذا عقل حكيم، وكأنه يقول للرب: ها أنا قد سلّمتك حياتي، فاعمل فيها وأصلحها. ولذلك نسمع عن بولس الرسول، كيف صار تلميذاً ورسولاً عظيماً وكارزاً وأنهى حياته شهيداً.

**٦ـ بطرس الرسول:** عندما ذهب لبيت كرنيليوس القائد الروماني "الأُمَمي" دليل على انفتاح فكره، فقد احتمل بطرس عدم رضى الناس من أجل رضى اللَّه. كان روح الرب يهيئ الجو لانفتاح باب الإيمان للأمم، فقد كانت الخدمة محصورة في دائرة أهل الختان. والآن يصدر الأمر واضحاً لرسول أهل الختان "بطرس" مؤكداً بدء انفتاح باب الإيمان للأمم.

**٧ـ** سر الميرون أول صليب يُرشَم به الطفل المُعمَّد يكون على النافوخ (العقل) لكي ما يُمسح هذا العقل بنعمة الروح القدس.

والكاهن عندما يصلي لأي شخص يضع الصليب على رأسه، أي على موضع عقله وفكره.

في بداية الكنيسة الأولى حدث خلاف على مشكلة تُعرف في التاريخ بمشكلة "التَّهوُّد"، وكان هناك رأيان:

أحدهما يقول أن الإنسان الوثني لا بد أن يصير يهودياً أولاً قبل أن يصبح مسيحياً.

والآخَر يقول أن الوثني يمكن أن يصير مسيحياً مباشرة دون أن يتهوّد أولاً.

وانعقد مجمع للرسل ودافع بطرس الرسول عن فكره، وبولس الرسول عن الفكر الآخر، وبعد الصلاة والحوار والمناقشة انتصر الفكر المنفتح، الذي يقول أن الوثني يصير مسيحياً مباشرة.

وهذا ما سجّله لنا سفر الأعمال: "**قد رأَى الرّوحُ القُدُسُ ونحنُ، أنْ لا نَضَعَ علَيكُمْ ثِقلاً أكثَرَ، غَيرَ هذِهِ الأشياءِ الواجِبَةِ: أنْ تمتَنِعوا عَمّا ذُبحَ للأصنامِ، وعنِ الدَّمِ، والمَخنوقِ والزِّنا، التي إنْ حَفِظتُم أنفُسكُمْ مِنها فنِعِمّا تفعَلونَ**" (أع ١٥ : ٢٨)، وكُتِب قرار هذا المجمع، وانتهت المشكلة.

يوجد فكر متشدّد لا يستقيم مع تقدم الحياة، فتخيّل معي لو كان هذا الفكر المتشدّد هو الذى انتصر! فماذا يكون لو إنسان بوذي أراد أن يكون مسيحياً؟! هل نقول له يجب أن تكون يهودياً أولاً؟

وفي نفس المجال، ونفس تاريخ الكنيسة الأولى جاءت مشكلة خدمة الأرامل: العبرانيات واليونانيات، وكيف أنه كان يوجد تقصير في خدمة أرامل اليونانيين. ووقف الآباء الرسل وقالوا بكل وضوح: "**لا يُرضي أنْ نترُكَ نَحنُ كلِمَةَ اللّهِ ونَخدِمَ مَوائدَ. فانتَخِبوا أيُّها الإخوَةُ سبعَةَ رِجالٍ مِنكُمْ، مَشهوداً لهُمْ ومَملوِّينَ مِنَ الرّوحِ القُدُسِ وحِكمَةٍ، فنُقيمَهُمْ علَى هذِهِ الحاجَةِ**" (أع ٦ : ٢ ـ ٣).

واختاروا سبعة رجال مملوئين من الروح وأقاموهم شمامسة، وكان أولهم القديس استفانوس الذي صار رئيساً للشمامسة وانتهت المشكلة.

الكنيسة المسيحية يعمل فيها روح اللَّـه، وروح اللَّـه لا يفارقها، ويعمل من خلال آبائها، ومن خلال قديسيها، والسيد المسيح أرسل لنا "الباراقليط" الروح المعزّي لكي ما يمكث معنا ويُدبِّر الكنيسة.

لكل زمنٍ التغيير الخاص به، فلا نستطيع أن نقول أن روح اللَّـه كان قديماً، فروح اللَّـه دائم كما نصلّي في صلوات الساعة الثالثة: "روح الحق الحاضر في كل مكان والمالئ الكل"، فينبغي للإنسان المسيحي أن يكون له دائماً الفكر المنفتح في حياته.

إن العالم يتغيّر، فيجب أن تتواكب عقولنا مع هذا العالم المتغيّر. ومن أمثلة ذلك:

+ **خيمة الاجتماع في العهد القديم**، فقد كانت تُنقَل من مكان إلى آخَر، ويتم تركيبها في المكان المُراد تخصيصه للعبادة. فهل تصلح الخيمة الآن؟ بالطبع لا، ففي عصرنا الحالي لا بد من إنشاء مبنى ليكون محل للعبادة، ولكن من الممكن أن نجد شخصاً يقف عقله عند نقطة واحدة، وهى أنهم كانوا قديماً يعبدون اللّه في خيمة.
+ مثال آخَر، كان **الكتاب المقدس** قديماً مخطوطاً على جلد، أو على ورق بردي، وكان سُمك السفر الواحد ضخم جداً، أمَّا الآن فقد وُجِدت المطابع، وتوجد أيضاً طباعة بالألوان. فهل يتوقَّف العقل عند أنه يجب القراءة من المخطوطة فقط؟!

وأيضاً عندما طُبِع الكتاب المقدس وصار في كل بيت، اعتبروا ذلك بدعة، كيف ينتقل الإنجيل من الكنيسة إلى البيوت؟ ولكن الرب أراد أن ينتشر الإنجيل في كل مكان.

+ في بداية الكنيسة المصرية، كنا نصلّي باللغة القبطية بلهجاتها المتنوّعة، وعندما وُجِدَت اللغة العربية للاستخدام، ومنذ عصر القديس ساويرس بن المقفّع في القرن العاشر الميلادي، أصبحنا نصلّي في كنائسنا باللغة القبطية والعربية واليونانية.

وعندما نُوجد في الخارج، نُصلّي باللغة المحليّة للبلد سواء الإنجليزية أو الألمانية أو السويدية أو الفرنسية، وهكذا حسب لغة المكان، فلا بد من التطوير. والإصرار على لغة واحدة قد يُفقِد الكنيسة نفوساً كثيرة.

فلا نستطيع أن نقول أنه في السماء توجد لغة معينة، فالسماء توجد بها لغة التسبيح، وعندما نذهب إلى هناك سنعلم ما هيَ لغة التسبيح، هل هيَ اللغة العربية أم الإنجليزية أم .... وقد قام البعض بعمل بعض الأبحاث لمعرفة اللغة التي كان آدم يتحدّث بها، أو التي تحدثت بها الأجيال التي تلته .. ولكنه التطور.

+ **البابا كيرلس الرابع أبو الإصلاح (١٨٥٣ ـ ١٨٦٢م):** هذا البطريرك المُبارك سَبق عصره، وأحضر مطبعة، وأمر باستقبال هذه المطبعة التي كانت في مثل هذه الأيام درب من دروب الخيال بالتراتيل والألحان.

واعترض بعض الناس على مثل هذا الاستقبال لمطبعة من حديد، على اعتبار أن هذا الاستقبال يليق بالأب الأسقف، أو الكاهن الجديد، وعندما نقرأ في التاريخ نجده سابقاً لعصره.

في زمنه أيضاً عمل على تعليم وتهذيب البنات فى مدرسة خاصة بهن، وكانت الأولى فى مصر، وكثير من الناس لم يتقبّلوا الفكرة، أمّا الآن فأصبح هذا الأمر شيئاً عادياً، لكن في زمنه كان تحدياً كبيراً.

+ وإذ كان لا بد أن يتطوّر العقل حتى في مناهج التعليم اللاهوتي نجد: **الأرشيدياكون حبيب جرجس** الذي رأى أن خدمته بالوعظ وتعليم الكبار لم تكن كافية للنهوض بالكنيسة القبطية، ففكَّر في الاهتمام بالأطفال الصغار، فأسَّس مدارس الأحد سنه ١٩٠٠م، رغم ما تعرّض له من انتقادات من بعض القيادات الدينية آنذاك؛ فقد هاجمها المتمسكون بالقديم، ومَن يعارض التحديث، وكان منهم الأنبا غبريال أسقف دير الأنبا أنطونيوس وبوش، حيث كَتَب عن مدارس الأحد ونشأتها فقال: "إنها جماعة مدسوسة على الكنيسة، استغلّت بعض السُّذّج من الشعب في صورة حملة المشاعل بين أبناء الكنيسة، وتمكّنوا بالخديعة والمكر أن يلفتوا إليهم أنظار الناس

ويكسبوا إعجابهم، تلك هي مدارس الأحد، المرفق الذي أخذوا ينفقون عليه بلا وعي وذلك في سبيل نشر المبادئ التي تصبو إليها أنفسهم، فأي تعليم هذا الذي يسمح باختلاط الشبان والشابات في مكان واحد؟"، واتهم الأنبا غبريال مدارس الأحد أنها تتجاهل القيادات الكنسية ورجال الدين، وتستأجر الأقلام القبطية في الدعوة إليهم! وقال عن مجلة مدارس الأحد أنها طفحت بمساعيهم في الطعن على المطارنة والقسوس!

وقابلت مدارس الأحد عدّة حروب وصراعات حتى بزغت للنور من خلال صدق رسالتها وسمو أهدافها، حتى كتب عنها البابا كيرلس الخامس في نوفمبر ١٩٠٧م مقالاً قال فيه: "مَن ترونهم اليوم أحداثاً هم رجال المستقبل، رجال الكنيسة، فعلّموهم واعتنوا بهم، وربّوهم على الحق والفضيلة، وازرعوا في نفوسهم أغراس البر والنعمة، اجذبوا الشبان إلى الكنيسة وعلّموهم أن يذكروا خالقهم في أيام شبابهم".

وكان تأسيسه لمدارس الأحد هو العمود الرئيسي الذي قامت عليه نهضة الكنيسة القبطية في القرنين العشرين والحادي والعشرين.

+ قديماً كانت الكنائس تُضاء بالشموع كما في بعض الأديرة، ولكن مع الاتساع الآن كان لا بد من استخدام الكهرباء.

كذلك لم يكن في الكنائس أجهزة تكييف، فحرارة الجو لم تكن مرتفعة، أمّا الآن وبسبب وجود المصانع التي تُخرِج ثاني أكسيد الكربون الذي يسبب زيادة حرارة الأرض لزم وجود أجهزة التكييف والمراوح وغيرها ...

فهل يأتي شخص الآن ويقول لا يجب وضع أجهزة التكييف في الكنائس، لأنه لم يأتِ ذلك في الإنجيل!

+ نجد أيضاً الفكر المنفتح في الأديرة التي نشأت أولاً في مصر ثم امتدت إلى كل العالم، خلال العصور الوسطى شكّلت الأديرة مراكز حضارية لحفظ

الفكر والعلوم القديمة، وبَنَت الكنيسة الجامعات الأولى في العالم الغربي، أخذت معظم البحوث العلمية مكانة في الجامعات المسيحية.

وعمل بها أيضاً أعضاء من الجامعات الدينية، وعمل العديد من الرهبان ورجال الدين المسيحي في المجال العلمي، وشغلوا مناصب عالية كأساتذة في الجامعات الغربية، وكان بعضهم مؤسسين وآباء لفروع علمية، لعلّ أبرزهم "غريغور مندل" الراهب النمساوي "أبو علم الوراثة"، فهو أول من اكتشف بدايات قوانين الوراثة، وأيضاً "جورج لومتر" وهو أول من اقترح نظرية "الانفجار العظيم"، و"كوبرنيكوس" الذي يُعتَبر أول من صاغ نظرية مركزية الشمس.

لذلك نجد أن أكبر الجامعات العالمية مثل جامعة "أكسفورد"، وجامعة "كمبريدج"، كانت في الأصل أديرة للرهبان، وعند زيارتك لجامعة "أكسفورد" تجد عند المدخل حجرة صغيرة يُقال أنها كانت لتصليح الأحذية، حيث كان يجلس بها أحد الرهبان لتصليح أحذية الزائرين القادمين من أماكن بعيدة.

إذا كان الراهب في خطوة للأمام والانفتاح وهو داخل ديره، هل نقول له أن ما تفعله هذا من تطور يُعتبَر خطأ في الرهبنة؟ بالطبع لا، فهذا نشاط وتقدُّم يفيد العالم كله.

إن العالم يتطور يوم بعد يوم، وفي حاجة إلى فكر مُنفتح متجدد دائماً.

**١ـ عقل عملي دائماً:** هو عقل دائماً عملي، يراعي تغيُّر الزمن الذى فيه، فتخيل أنك تعطي مصروفاً لابنك في اليوم عشرة قروش! ولو قلت له أنا عندما كنت في مثل سنّك كنت آخُذ "خمسة تعريفة" سوف يتعجّب! ولا يفهم ما هذه العملة الغريبة. العقل المنفتح هو عقل عملي يراعي الزمن.

**٢ـ عقل محاور،** أي يتناقش، فلا يصلح الآن في تربية أولادنا أو في مناقشتنا، أن نُعطي أوامر، بل يجب الحوار والمناقشة؛ لأن العقل المحاور يتم من خلاله تبادل الأفكار بين الناس وتتفاعل فيه الخبرات، كما يساعد على تنمية التفكير، فهو يولِّد أفكاراً جديدة، ويساعد على التخلُّص من الأفكار الخاطئة، ويؤدي إلى الوصول إلى الحقيقة.

**٣ـ عقل مهموم بإصلاح مجتمعه،** فمثلاً الأب في المنزل مهموم بأن يُصلح أسرته لكي ما تكون أفضل. والخادم في كنيسته مهموم بأن يجعل كنيسته أفضل.

والمواطن في وطنه، يريد أن يكون الوطن والمجتمع أفضل وأفضل، حتى السيد المسيح قال: **"أمّا أنا فقد أتيتُ لتكونَ لهُمْ حياةٌ وليكونَ لهُمْ أفضَلُ"** (يو ١٠ : ١٠).

**٤ـ عقل واقعي،** لا يتكلّم بالنظريات فقط، مثال لذلك عندما نتكلّم عن ظاهرة الإدمان وانتشارها، فالمجتمع أصبح يئِنّ من هذه الظاهرة في هذه الأيام. وهذه الظاهرة أصبحت تؤثر على الأسرة، ولكن من خمسين عام، لم يكن

الإدمان بهذه الصورة، لذلك يجب مراعاة هذه الظاهرة أثناء وضع قوانين جديدة للأسرة.

لا بد من مُراعاة الزمن الذي نوجد فيه، فالإنسان صاحب الفكر المنفتح، إنسان واقعي يعالج الأمور من منظار واقعي، وليس من منظار خيالي. تصوّر مثلاً عندما نقول مصر يوجد بها أزمة إسكان، فيقف شخص ويقول ما المشكلة نقوم ببناء البيوت! هل هو بذلك حل المشكلة؟ فلكي ما نقوم ببناء بيوت لا بد من توفير الأراضي والمهندسين والعمال ومواد البناء، وكل هذا يحتاج إلى المال، ولذلك يجب أن يكون العقل واقعياً، وهو يفكر في حل أي مشكلة.

**٥ ـ عقل مُبدِع:** الإبداع طاقة عقلية هائلة، فطرية في أساسها، اجتماعية في نمائها، مجتمعية إنسانية في انتمائها. والعقل هو مركز الإبداع، فهو الذي يمثّل مركز التفكير لدى الإنسان، فإذا كان العقل هو المصنع الذي يلتقط المواد الخام، فيختبرها ويحللها ثم يفرزها ويوزّعها على خلايا المخ التخزينية، فهو إذاً منبع الابتكار والأفكار وهو عنصر هام من عناصر العملية الإبداعية في الإنجاز.

إن العقل المُبدع يبتكر دائماً، ويفكّر فيما هو أفضل، وابتكارات الإنسان لا تنتهي في جميع المجالات، ومن سِمات العقل المبدع:

أ- تحمُّل الغموض والتمتُّع بقدرة فائقة على الصبر والتحمُّل للمشكلات أو المواقف الغامضة.

ب- حب الاستطلاع: يميل إلى طرح الأسئلة، والاستفسار من أجل الاستزادة في المعرفة.

ج - الاتصاف بالدعابة وخفّة الظل والمرح.

د - الاتصاف بانفتاح العقل، وتقبُّل وجهات نظر الآخَرين.

هـ - الميل إلى تحدّي المواقف الصعبة، والأمور الغامضة.

و- الاتصاف بالمرونة في المواقف المختلفة.

ز- الاتصاف بالقدرة على توليد الأفكار.

فالإنسان الذي ليس عنده هذه النعمة، عقله متجمّد وضيّق، أمَّا الإنسان صاحب العقل المتفتح يفكر في المستقبل، ويخطط له بطريقة جيدة.

**مثال:** نعلم جميعاً أن دول أوروبا تستخدم عملة واحدة وهي "اليورو"، وهذه العملة بدأ التفكير فيها منذ عام ١٩٦٠م حتى تم تنفيذها عام ٢٠٠٠ بمعنى أنه استغرق هذا القرار ٤٠ عاماً من التفكير والتخطيط.

والخُلاصة أن العقل المنفتح يقوده اللَّه، كما يقول الكتاب:

**"وصيَّةُ الربِّ مُضيئةٌ تُنيرُ العَينَين عن بُعد"** (مز ١٩ : ٨).

**"سِراجٌ لِرِجلِي كلامُكَ ونُورٌ لِسَبيلِي"** (مز ١١٩: ١٠٥).

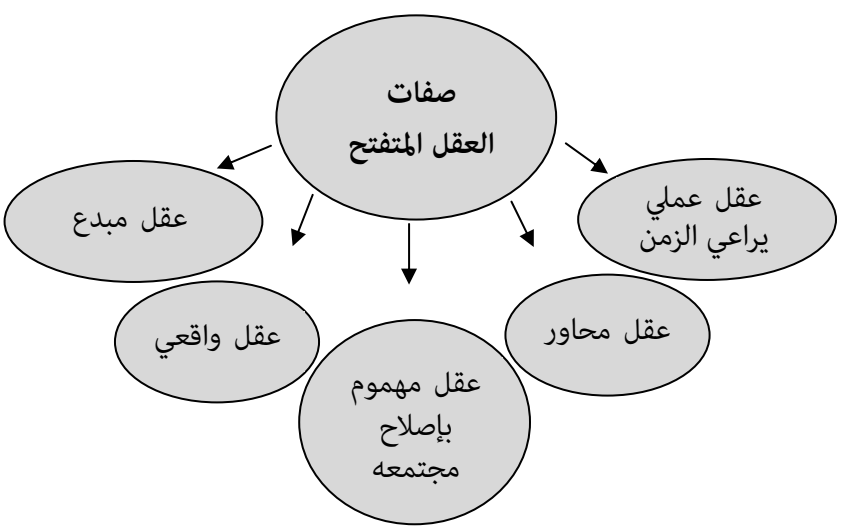

ومن القصص الآبائية الجميلة: أنه كان يوجد ناسك من النساك في البرية، وكان يرفض أخذ أية هدية من الزوّار، وعندما كان يطلب منه أحد الزوار أن يعطيه أي شيء على سبيل البركة، كان يعتذر أنه لا يملك شيئاً.

وفي يوم، وقف أمام اللَّه باكياً وسأله، ماذا أفعل مع مَن يحضرون إليَّ الهدايا لأني برفضي أحزنهم، ومَن يطلبون مني البركة أحزنهم أيضاً، لأني لا أملك شيئاً أعطيه لهم فماذا أفعل؟! فرد عليه صوت قائلاً: "مَن يحضر لك هدية اقبلها، وقل له ضعها هنا وباركه، ومَن يريد أن يأخذ بركة قُل له: خذ من هناك، وبالتالي لن يحزن هذا ولا ذاك".

وهناك قصة أخرى من رهبنة شرق آسيا (الرهبنة البوذية)، وهى مختلفة تماماً عن الرهبنة المسيحية، فهم يرتدون الزي الأصفر، ويقومون بحلق شعرهم تماماً، ومن قوانينهم أنهم لا يلمسون امرأة ولا حتى بالسلام.

تقول القصة: إنه في إحدى المرّات كان يسير شيخ مع تلميذه الشاب، وهم في الطريق وجدوا فتاة صغيرة، في حوالي الثانية عشرة من عمرها، تُريد عبور مستنقع، حيث تكثر المستنقعات هناك، ولكنها كانت خائفة. فقام الشيخ بحملها على ذراعيه، وعبر بها الماء وتلميذه في حالة ذهول، كيف يكسر قوانين الرهبنة؟ ولكن خجل من سؤاله، وفي نهاية اليوم تعب هذا التلميذ من التفكير، وقرّر أن يسأل مُعلّمه. فقال له: أليس في تعاليمنا أن لا نلمس امرأة، فكيف حملت هذه الفتاة؟! أليس هذا كسر للقانون؟! فأجابه الشيخ إجابة جميلة جداً، فقال: أنا قد حملتها خمس دقائق فقط ثم تركتها، أما أنت فقد حملتها في فكرك حتى الآن!

أرجوك أيها الحبيب، اطلب من اللَّه في كل يوم أن يعطيك هذه النعمة، وأن يكون لك العقل المستنير الممسوح بنعمة روح اللَّه، لكي ما يكون لك العقل المنفتح.

**١ـ بالقراءة والمعرفة:**

لا تنسَ الوصية الإلهية التي تقول: "**طُوبَى لِلَّذي يَقرأُ**" (رؤ ١ : ٣)، فالإنسان البعيد عن القراءة، يكون عقله فارغاً.

إن القراءة لها تأثيراً كبيراً على حياة الإنسان وشخصيته، فهيَ تغرس في الإنسان مبادئ وقيم عديدة، وتنمّي العقل، فعقل الإنسان بلا شكّ إذا اعتاد على القراءة توسّعت آفاقه وتفتّحت مداركه، بينما الإنسان الذي لا يقرأ عقله مُتبلِّد، ومداركه مُقفَلة محصورة بوجهة نظرٍ معيّنة أو معلومةٍ خاطئة غير صحيحة، وبالتّالي فإنّ القراءة هيَ وسيلة لإنعاش العقل وتجديده باستمرار، وعلى الإنسان أن يحرص على أن يبقى عقله باباً مفتوحاً دائماً لقراءة كل ما هو جديد من المعلومات والأفكار، ومن ثمّ تحليلها وغربلتها لكي تنضج عنده الفكرة والمعلومة الصحيحة.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "عندما تُغرق عقلك وقلبك في الكتب الروحية، تكون دوماً ممتلئاً؛ لأن القراءة الروحية تُعطيك الثبات في اللَّه".

أمّا القديس إسحق السرياني يقول: "اقرأ عن التدبير الإلهي، وتشبَّع من كتب مُعلِّمي الكنيسة؛ لأنها تقود الفكر إلى تمييز الترتيب في خلائق اللَّه وأعماله، وتعطيه القوة. وببراعتها تهيئه لاكتساب البديهة المنيرة، وتقوده في الطهارة نحو فهم خليقة اللَّه".

اقرأ أيضاً الأناجيل التي عيّنها اللَّه لمعرفة العالم بأكمله، حتى تجد المؤن لرحلتك بقوة تدبير اللَّه لكل جيل، حتى أن عقلك يغوص بعمقٍ في التأمّل باللَّه.

هـذه القـراءة تُعـزّز هـدفك: "فلـتكن قراءتـك في هـدوء لا يعكّـره شيء"، "القراءة تساعد النفس عند وقوفها للصلاة" ... "مـن القـراءة تسـتنير الـنفس في الصلاة" ... "من دون الـدخول في التجـارب، لا يسـتطيع أي إنسـان أن يكتسـب حكمة الروح القدس، ومن دون المواظبـة عـلى القـراءة، لـن يلقـى أي تهـذيب لأفكاره" ...

عندما تكون نفسك محاطة بظلام دامس وخالية من التعزية الروحية ونـور النعمة بسبب غمامـة الأهـواء التـي تخـيّم عليهـا، وفـوق هـذا تـتقلّص القـوة المفرحة في نفسك لبعض الوقـت، ويطغـى عـلى فكـرك ضـباب لا ترغـب فيـه، عندها لا يضطرب عقلك، ولا تمدّ يدك إلى القنوط، لكن كـن صـبوراً. وبـادر إلى قراءة كتب مُعلّمي الكنيسة، وأخضِع نفسك للصلاة، وتوقّع أن تتلقّى المعونة.

إن القراءة تُبعِد الفِكر عن التوافه، فالمرء الـذي لا يعـرف سـوى الحفـلات والنوادي والمقاهي تكون شخصيته سطحية، وأحاديثـه بـلا نفـع وتَضُـرّ، وعـلى العكس الرجل الذي يقرأ ويدرس ويُثقِّف نفسه، هو قادر أن يزيـد غـيره علـماً ومعرفة.

لذلك أنصحك بالقراءة، وخير أنواع القراءة هو مـا يبنـي الـنفس، ويثقـف ويشبع الروح والعقل ... فكُن حكيماً في اختيـار مـا تقـرأه. فليسـت كـل قـراءة نافعة ولا بنّاءة.

وكذلك اقرأ بفهم، وبفحص، ولا تعتنق كل ما تقرأ، فكثيرون يقبلون كل ما يقرأون باقتناع تلقائي! دون دراسة، ودون تعمُّق في التفكير، كـما لـو كـان ذلـك مكتوباً بوحي!!

عليك أن تقرأ بميزان دقيق، وبتحليل أدق. ولا تُصدّق كـل مـا يُكتَـب ومـا يُنشَـر. فكثيراً ما نجد أشياء يعارض بعضها بعضاً فيما تنشـره الجرائد من أخبار ومن أفكار!

**هـدف القراءة:**

ينبغي للإنسـان أن يعـرف هدفـه مـن القـراءة ويتـذكره باسـتمرار، حتـى لا ينحرف عنه إلى غاية أخرى، وهناك هدفان للقراءة:

١- اكتِساب الخبرة الأدبيَّة.

٢- استِخلاص المَعلُومات وتَوظيفها.

إن القراءة الجيدة تتطلب الاستمرارية والممارسة والتحسين المستمر.

**٢ـ بتوعية العقل:**

يكون بناء العقل أيضاً بتوعية العقل، وهـذه مسـئوليتنا جميعـاً مـن آبـاء أساقفة، وآباء كهنة، وخـدام وخادمـات ومجتمـع. وذلـك عـن طريـق **التعلـيم، والإرشاد، والمشورة**، فهناك ارتباط وثيق بين الكلمات الثلاث والكنيسة.

**الإرشاد:** هو عملية إرشاد الفـرد إلى الطـرق المختلفـة التـي يسـتطيع عـن طريقها اكتشاف واسـتخدام إمكانياتـه وقدراتـه، وتعليمـه مـا يـمُكِّنه مـن أن يعيش في أسـعد حـال ممكـن بالنسـبة لنفسـه وللمجتمـع الـذي يعـيش فيـه. والإرشاد وصية كتابية : "**اذكُرُوا مُرشِدِيكُم الذين كلَّمُوكُم بكلِمَة اللَّهِ**" (عب ١٣: ٧)، وهذا دور آباء الكنيسة وخُدّامها، وكما يقول القديس أوغسطينوس: "لا يَخلُـص عن طريقك إلا الذي يُحبّك"، مما يؤكد أن يكـون المرشـد الروحـي موضـع ثقـة للمخدوم يقدم له طاقة حب، وطاقة جاذبة تجذب الـنفس المُتعَبَـة والسـاقطة والتي تعاني من المشكلات.

ولقد اِتَّضح أن الذي يكمُن وراء كل المشاكل التي تحـيط بالإنسـان بصـفة عامة هو فقر الفكر، الذي يمكن التغلُّـب عليـه مـن خـلال المعرفـة "**مَـن يُحِـبُّ التَّأديب يُحِبُّ المعرِفَة**" (أم ١٢: ١).

ونجد رسالة القديس يوحنا المعمدان كان لها دور تعليمي في الإرشاد، فقد كان يُعِدّ للرب شعباً مُستعِداً لقبول الإيمان.

أمَّا عن **التربية أو التعليم** فالكتاب يعلّمنا أن نُربِّي أبناءنا: **"وأنتُم أيُّها الآباءُ، لا تُغيظُوا أولادكُم. بل رَبُّوهم بتأديب الرب وإنذَارِه" (أف ٦ : ٤)**

كان تعبير "التربية المسيحية" يعني نوال معرفة عميقة ترتقي فوق المعرفة العقلية الشعورية والعلمية، بل هيَ "معرفة اختبارية" لـ "استعلان الحق"، كما عبَّر عنها الكتاب المُقدَّس وعقيدة الكنيسة، وفي الوقت عينه كانت التربية المسيحية تعني أيضاً التداريب والحياة الأخلاقية بحسب القوانين والوصايا المسيحية.

وجدت الكنيسة الأولى أنَّ مُعظم الذين يُريدون قبول الإيمان كانوا من أُسَر وعائلات وثنية، وبالتالي لم يكونوا قد تلقّوا تعليماً مسيحياً أَوّليّاً ولا كانت لهم معرفة بالإيمان الجديد، وكي تُعالِج الكنيسة ذلك، أخذت على عاتقها مُهمة تعليمهم قبل معموديتهم، وكان ذلك التعليم المنهجي ـ وهو مرحلة إعداد للمعمودية ـ يُسمَّى "وعظ"، وأثناء فترة الوعظ، كان الشخص يتعلَّم الأوليات البسيطة في الإيمان والأخلاقيات المسيحية (تهيئة وإعداد).

وفيما بعد، في القرن الرَّابِع، كان الموعوظ يُعطَى شرحاً للأسرار المسيحية العميقة، كما يتضح في العِظة الرَّابِعة من عِظات القديس كيرلس الأورشليمي للموعوظين. وكان لا بد أنَّ طالب المعمودية يُقدِّمه أحد المؤمنين يُسمَّى "إشبين"، ولا بد أن يختبره المُعلِّمون المسئولون عن الموعوظين لكي يتأكّدوا من أنَّ الدوافع التي قادته للكنيسة والإيمان المسيحي دوافع روحية خالصة. والإشبين الذي يُزكّي الموعوظ للمعمودية، كان يلعب دوراً هاماً للغاية أثناء تلقِّي الموعوظ للتعليم، بل وأيضاً بعد معموديته.

بجانب مدارس الموعوظين، كانت هناك أيضاً مدارس تعليمية، وهذه كانت مُؤسسات تُقدِّم مستوى مُتقدِّم من التعليم اللاهوتي المسيحي ومن التعليم الكلاسيكي أيضاً (علوم أخرى: مثل العلوم، الرياضيات، وعلم الاجتماع .... إلخ).

وعن **المشورة** يقول مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده: "المستشيرون هم سادتنا، وراحتهم أهم بكثير من تعبنا.. نتعب نحن، لكي يرتاحوا هم، وإذا ارتحنا لتعبوا هم". المشورة هيَ الرأي والنصيحة، والمشير هو مَن يُبدي الرأي والنصيحة، فهيَ عملية تأثير متبادل، تتم في جو من الأمان والتدعيم، والتي يحاول فيها المرشد (المشير) أن يساعد شخصاً آخَر يدعى المسترشد (المستشير) في استيضاح أفكاره، مشاعره، دوافعه أو الخلل في علاقاته، بغرض اكتشاف أفضل السُّبل (الاستراتيچيات) للتحكُّم في حياته وإدارتها.

دخل عِلم المشورة المسيحية ضمن علم اللاهوت الرعوي، وهو عِلم يتعامل مع الإنسان جسداً ونفساً وروحاً في حالات اليأس والاكتئاب والشعور بالذنب، بمساعدة الكتاب المقدس وعِلم النفس التطبيقي والسلوكي.

ومن خلال المشورة والمعرفة، يستقيم الفكر، وبإرشاد الروح القدس ومشوراته يمكن للإنسان أن يكون مُشيراً .

إن استخدام الكنيسة لهذه المفاهيم، يمكن أن يساعدها على تقديم الطبيب الحقيقي "الرب يسوع" إلى أبنائها.

### ٣ـ بضبط العقل:

الأمر الثالث في بناء العقل هو ضبط العقل، وذلك بالحكمة والتلمذة، وعن الحكمة يقول سليمان الحكيم: **"الحكِيمُ عَيناهُ في رأسِهِ. أمَّا الجاهِلُ فيسلُكُ في الظَّلامِ" (جا ٢ : ١٤).**

لقد وردت كلمة الحكمة في الكتاب المقدّس أكثر من ٣٠٠ مرة في العهد القديم، أكثر من نصفها في أسفار أيوب والأمثال والجامعة، فهيَ نور داخلي يُنير العقل والقلب، كما أنها نور خارجي يُنير للآخَرين طريقهم.

كذلك التعلُّم مِنْ مَن هم أكبر منا، ومن مدرسة الحياة، ومن التاريخ، فنحن نقرأ السنكسار في القداس، والسنكسار ليس كتاب تاريخ فحسب، ولكنه كتاب تعليمي، لكي نتعلّم مِمَنْ سبقونا، وهناك مقولة جميلة تقول: "التاريخ هو الحياة".

**فمثلاً** ... في يوم ١٤ مسرى، يحكي السنكسار قصة عن شخص مسيحي فقير كان يشعر بالضيق، فتحدث إلى أحد أصدقائه، في كيف أن المسيحيين فقراء بينما اليهود أغنياء!

وقرر أن يذهب إلى شخص يهودي لطلب المساعدة، وبالفعل ذهب إليه، وطلب منه بعض المال، فاعتذر اليهودي قائلاً أنه لا يستطيع أن يعطي له المال، لأنه مختلف عنه في ديانته، وبعد المناقشة قال له اليهودي: من الممكن أن أُعطي لك المال بشرط وهو أن تقوم بطعن الصليب.

وبالفعل قام اليهودي بصُنع صليب من الخشب، وأحضر له حربة، وطلب منه أن يقوم بطعن الصليب وهو يقول: "أطعنك أيها المسيح"، وللأسف ظن المسيحي أن هذا مجرَّد تمثيل!

وقام بهذا العمل المُشين، وطعن الخشبة، ولكنه فوجئ أن الخشبة تنسكب منها الدماء ومات بعدها المسيحي! وهذه القصة حدثت في أيام البابا ثاؤفيلُس البطريرك الـ ٢٣، وها نحن اليوم في القرن الحادي والعشرين، ونقرأ هذه القصة ونتعلّم منها ..

الخُلاصة أيها الأحباء نجدها في مَثَل العذارى الحكيمات والجاهلات ...

الحكيمات كُنّ يتمتّعنَ بالعقل المنفتح والاستعداد وتقدير قيمة الوقت، أمَّا الجاهلات فكُنَّ ذوات عقل ضيق، ولذلك جاءوا أمام المسيح وطرقوا الباب قائلات: ربّنا ربّنا افتح لنا. فقال لَهُنَّ: إني لا أعرفُكنَّ (مت ٢٥). وكانت نهاية مؤلمة، وبسبب تفكيرهُنَّ المحدود والضيِّق فقدوا الوجود والنصيب السماوي.

"هو" تزوَّج بـ "هيَ" وبعد سنين قليلة طلب "هو" من "هيَ" أن تعمل له سمك مقلي، وبالفعل أحضرت السمك ثم قامت بتقطيع السمكة من الذيل والرأس، وتركت الجزء الذي في الوسط فقط.

فسألها "هو": لماذا قمتي بتقطيع السمك هكذا؟! أجابت: ماما كانت تفعل هذا، فسأل الأم لماذا كُنتِ تفعلين ذلك في السمك؟! فقالت أمي كانت تفعل هذا، فسأل الجِدّة لماذا كُنتِ تفعلين هذا؟! قالت لأنّ جِدّك كان قد أحضر لنا صينية صغيرة لا تسع السمكة فكنت أقوم بتقطيعها هكذا!

وهذا هو العقل الضيِّق، فنحتاج يا إخوتي الأحباء أن يكون لنا العقل المنفتح.

ليُعطِنا مسيحنا أن نقول مع داود النبي:

**"لتَكُنْ أقوالُ فمِي وفِكرُ قَلبي مَرضيَّةً أمامَكَ يارَبُّ، صَخرَتي ووليِّي"**

**(مز ١٩: ١٤).**

# القلب المتسع

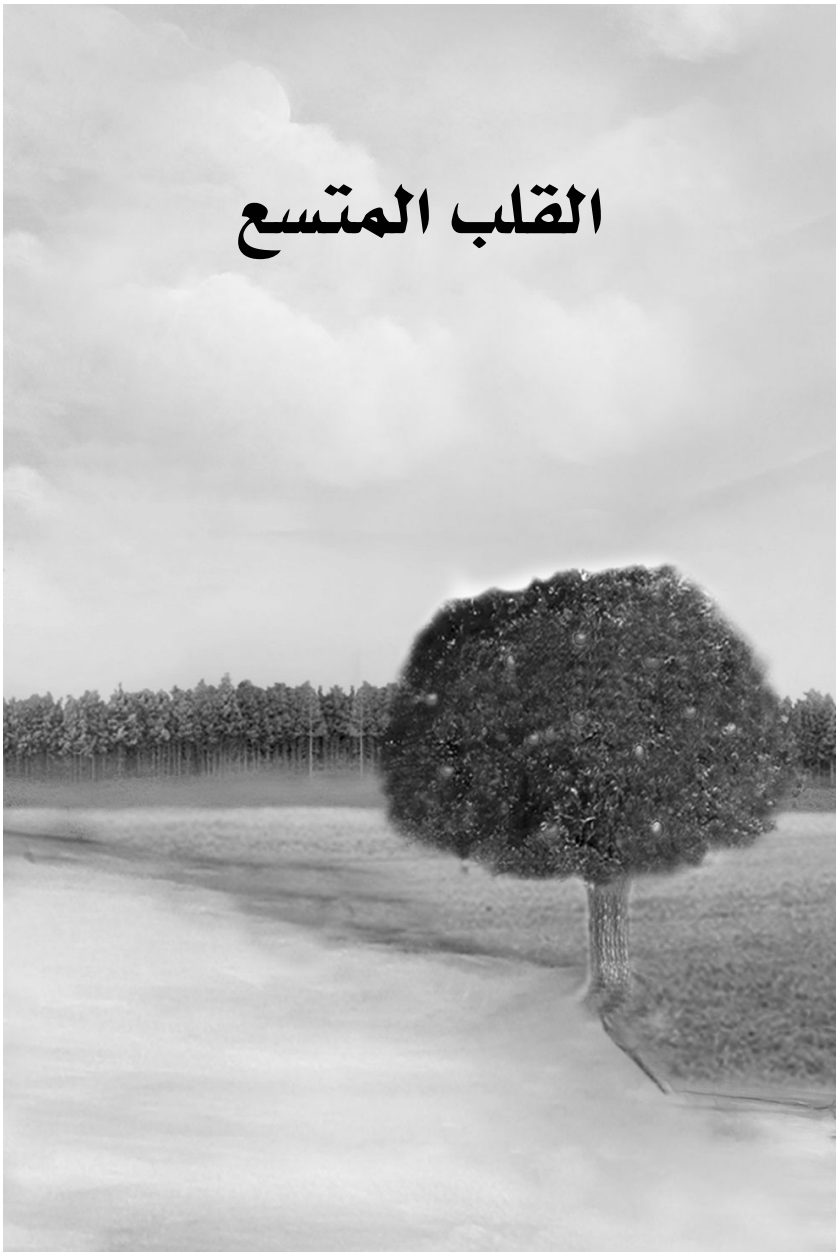

**"فَمُنا مفتُوحٌ إليكُم أيُّها الكورنثيُّونَ. قلبُنا مُتَّسع. لستم متضيِّقين فينا بل مُتضيِّقين في أحشائكُم. فجزاءً لذلك أقول كما لأولادي: كونوا أنتم أيضاً مُتَّسِعِينَ" (٢كو٦ : ١١ ـ ١٣).**

نتعجّب عندما نسمع في الإنجيل الوصية التي تقول: **" كُونُوا قِدِّيسينَ لأنِّي أنا قُدُّوسٌ"** (١بط١ : ١٦)، والوصية التي تقول أيضاً: **"فكُونُوا رُحَماءَ كما أنَّ أباكُمْ أيضاً رحِيمٌ"** (لو٦: ٣٦).

توجد أيضاً وصية تتحدّث عن اتساع القلب، فيقول الكتاب: **"فمُنا مَفتوحٌ إلَيكُمْ أيُّها الكورِنثيّون. قَلبُنا مُتَّسِعٌ. لستُمْ مُتَضَيِّقينَ فينا بل مُتَضَيِّقينَ في أحشائكُمْ. فجَزاءً لذلكَ أقولُ كما لأولادي: كونوا أنتُمْ أيضًا مُتَّسِعينَ"** (٢كو٦: ١١ ـ ١٣).

بمعنى أن قلبنا ليس ضيقاً على أن يسعكم، وهذه هيَ علامة القلب المملوء بالمحبة الصادقة.

وسنتأمل في هذا الجزء عن هذه النعمة وهيَ "القلب المتّسع"، والقديس يوحنا الذهبي الفم له عبارة جميلة فيقول: "كما أن حرارة الشمس تجعل الأشياء تتمدد، هكذا حرارة المحبة تجعل قلب الإنسان يتّسع"، وهنا تظهر فضيلة جميلة، وهى فضيلة اتساع القلب بالحب للكل.

سنتكلم عن بعض أمثلة من الكتاب المقدس لكي ما تُقرِّب لنا الصورة، وتوضِّح هذه الفضيلة:

## من العهد القديم:

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

**أولاً: قصة إبراهيم أبي الآباء وابن أخيه لوط.**

هما اثنان أحدهما كبير، والآخَر صغير، أحدهما بمثابة أب والآخَر بمثابة ابن، وحدث خلاف ما بين رعاة إبراهيم ورعاة لوط، وازداد هذا الخلاف حدَّة، وهنا نسأل أبانا إبراهيم، كيف ستُعالج هذا الموقف؟! يقول أفضل شيء لمعالجة هذا الموقف هو الاحتواء، فيقول للوط لماذا نغضب من بعضنا البعض؟ يوجد بيننا قرابة الدّم، ولماذا الشجار؟ فتعال واختار من الأرض ما تريد، إن ذهبت شمالاً، أذهب أنا يميناً، واختَر أنت أولاً: **"فقالَ أبرامُ للوط: لا تكُنْ مُخاصَمَةٌ بَيني وبَينَكَ، وبَينَ رُعاتي ورُعاتِكَ، لأنَّنا نَحنُ أخَوانِ. أليستْ كُلُّ الأرضِ أمامَكَ؟ اعتَزِل عَنّي. إنْ ذَهَبتَ شِمالاً فأنا يَميناً، وإنْ يَميناً فأنا شِمالاً"** (تك ١٣: ٨ ـ ٩).

وهنا تتجلّى الحكمة، مع القلب المتّسع، فقد كان من الممكن أن يقول إبراهيم للوط، كل ما أقوله لك يجب أن تفعله، لأن إبراهيم هو الكبير، وأيضاً في منزلة الأب، ولكن إبراهيم لم يصنع ذلك، وانتهى الخلاف بسلام، لأن أبانا إبراهيم كان له القلب المتّسع.

**ثانياً : قصة يونان وأهل نينوى.**

يظهر في هذه القصة أمامنا مقارنة لطيفة، بين اللّـه العظيم وقلبه المتَّسع لكل البشر وبين الإنسان (يونان) ذي القلب الضيق جداً، حيث لا يرى سوى خاصته وبني جنسه فقط، وجميعنا نعرف القصة، وكيف أن اللّـه أعطى ليونان درساً جميلاً حتى يفهم مقاصده، وكيف أن أهل نينوى قدَّموا توبة ( شعب كامل )، وكيف أن اللّـه قبلها.

وهنا اسأل نفسك: هل لك القلب الواسع أم القلب الضيِّق؟ إذا وجدت أن لك قلب ضيق، فاعلم أنك ستتعب في حياتك جداً، أمّا إذا كان لك القلب الواسع فستجد نِعَماً كثيرة جداً في حياتك.

**من العهد الجديد :**

******************

**ثالثاً: قصة المرأة السامرية.**

جميعاً نعلم قصتها المشهورة (يو ٤)، لقد كان كل ما في عالمها أنها تحضر الماء ثم تعود، وكان لها حياتها الخاصة بخطاياها وهذا أمر آخَر، ونجد المسيح ينتظرها حتى يتكلَّم معها في منتصف النهار (عند ساعة الصليب).

ثم تأتي هذه المرأة، ويحدث نوع من الجفاء، وتتكلّم معه بعدم انفتاحية، أمَّا قلب المسيح المتَّسع، الطويل الأناة، بمجرّد أن يلتقط منها كلمة!! يأخذها وكأنها اعتراف لكى ما يمدحها عليه!

فيقول لها: **"اذهَبي وادعِي زَوجَكِ وتعالَي إلى ههُنا. أجابَتِ المَرأةُ وقالتْ: ليسَ لي زَوْجٌ"** (يو ٤ : ١٦ ـ ١٧).

كان من الممكن أن يقول لها إنك تكذبين، أو إنك مخادعة، أو إنك ستظلين في الخطية.

أمَّا قلب المسيح الرائع، فقال لها: "**حَسَناً قُلتِ: لَيسَ لِي زَوْجٌ**" (يو٤ : ١٧)، وكانت هذه الكلمة هى بداية الاعتراف، ثم يُكمل السيد المسيح حديثه معها بدون أن يغضب منها، رغم أنها تحاول أن تغيِّر الموضوع وتسأل في أمور أخرى! فتقول: "**آباؤُنا سجَدُوا في هذا الجَبَلِ، وأنتُمْ تقولونَ إنَّ في أورُشَليمَ المَوْضِعَ الذي يَنبَغي أنْ يُسجَدَ فيهِ**" (يو ٤ : ٢٠)، بمعنى ما هو الأصح؟ وأين ينبغي أن نسجد؟ وكل هذا محاولة لتغيير الموضوع! ولكن بطول أناة المسيح، وقلبه المتّسع، تصير هذه المرأة كارزة بِاسم المسيح لأهل مدينتها! ونحن لا نعرف اسمها، لكن قلب المسيح المتّسع اتّسع لهذه المرأة وحوّلها إلى مؤمنة ثم كارزة.

**رابعاً: التلاميذ الاثنا عشر.**

عندما نسأل ربنا يسوع المسيح: كم تلميذاً اخترت؟ يقول: "اخترت اثني عشر"، نسأله: هل الاثنا عشر تلميذاً كلهم جيدون؟ بالطبع نعم، فكلهم مُختارون، ولكن ما الذي حدث في النهاية؟

يجيب: "رُبعهم وقع في أخطاء كبيرة: فواحد أنكرني، وثاني شك فيَّ، وثالث خانني"، بمعنى أنه بنسبة ٢٥ % أخطأوا، ولكن هذا هو الضعف البشري، ونسأله: ماذا فعلت مع مَنْ أنكرك؟

**إن مَن أنكر المسيح،** كان يجب أن تكون عقوبته القطع التام، وإذا أضفنا إلى ذلك أنه تلميذ من تلاميذ المسيح، كان يجب أن يُقطع تماماً من الشركة، ولكن مسيحنا الحلو بقلبه المتَّسع، وبعد القيامة، وبعد أن رجع بطرس إلى صيد السمك. يظهر له المسيح خصيصاً، ويصنع معجزة صيد سمك آخَر بعد القيامة، معجزة صيد الـ ١٥٣ سمكة، وهنا يسأل المسيح بطرس: "أتحبني يا بطرس؟"، وكأنه يقول له أن قلبك قد ضاق يا بطرس، فاجعل قلبك واسع. فيجيب بطرس: نعم يارب إني أحبك، ويتكرّر هذا السؤال مرة واثنين وثلاثة: "**يا سِمعانُ بنَ يونا،**

**أتُحِبُّني أكثرَ من هؤُلاء؟ قالَ لهُ: نَعَمْ يارَبُّ أنتَ تعلَمُ أنّي أُحِبُّكَ. قالَ لهُ: ارعَ خِرافي. قالَ لهُ أيضاً ثانيَةً: يا سِمعانُ بنَ يونا، أتُحِبُّني؟ قالَ لهُ: نَعَمْ يارَبُّ، أنتَ تعلَمُ أنّي أُحِبُّكَ. قالَ لهُ ارعَ غَنَمي. قال له ثالثةً يا سِمعانُ بنَ يونا، أتُحِبُّني؟"** (يو ٢١ : ١٥ـ ١٧).

وفي النهاية، نجد أن محبة المسيح، قد وسَّعت قلب بطرس فيقول: **"يارَبُّ، أنتَ تعلَمُ كُلَّ شَيءٍ. أنتَ تعرِفُ أنّي أُحِبُّكَ"** (يو٢١ : ١٧)، فاطمئن المسيح وقال له: **"ارعَ غَنَمِي"** (يو٢١ : ١٧)، واكرز في العالم. وانتهت حياته بأن أصبح شهيداً عظيماً صُلِبَ مُنكَّساً، وسيظل اسم القديس بطرس الرسول يتردد بين المؤمنين، ولكن ما الذي حدث؟! إن محبة المسيح هيَ التي ساعدت على اتساع قلب بطرس الذي أنكر المسيح، وليست هذه بالخطية البسيطة، مثل التي نسمع عنها في الوصايا العشر، ولكنه أنكر المسيح وهو تلميذه ... هذا هو اتساع القلب.

و**تلميذه توما** قد شكَّ في قيامته، والمسيح بقلبه المتّسع، ظهر من أجله خصيصاً، **"ثُمَّ قالَ لتوما: هاتِ إصبعَكَ إلى هُنا وأبصِرْ يَدَيَّ، وهاتِ يَدَكَ وضَعها في جَنبي، ولا تكُنْ غَيرَ مؤمِنٍ بل مؤمِناً"** (يو٢٠ : ٢٧). ويصرخ توما باتساع قلب المسيح، ويقول صرخة الإيمان: **"رَبِّي وإلهي!"** (يو٢٠ : ٢٨).

**أمّا يهوذا الخائن:** فكان المسيح لآخِر وقت يُنبِّهَهُ ... ويلفت نظره ... ويعطي له فرصة لكي يتوب! ولكنه أصرَّ على خطيئته، وسلّم ابن الإنسان بقُبلة **"فقالَ لهُ يَسوعُ: يا يَهوذا، أبقُبلَةٍ تُسَلِّمُ ابنَ الإنسانِ؟"** (لو٢٢ : ٤٨)، واستخدم علامة الحب في خيانة مُعلّمه وسيده.

**خامساً : قصة الابن الضال.**

في هذا المَثل، نجد بيت فيه: أب، وابن كبير وابن صغير، وكلنا نعلم ماذا فعل الابن الصغير، الذي نسميّه "الابن الضال"، فقد تاه ... وابتعدَ ... وأخطأ ... وعمل كل ما هو سيء جداً ...

أمّا أخوه فقد اتهمه أنه قد جعل معيشته مع الزواني "**ابنُكَ هذا الذي أكلَ مَعِيشَتَكَ مع الزَّواني**" (لو١٥: ٣٠) أي أنه قد وصل إلى أسوأ الخطايا، فأرجوك أن تتخيّل معي مشاعر هذا الأب!

فهكذا يجب أن تكون الأبوّة في كنيستنا، لقد كان الأب كل يوم ينتظر ابنه الصغير، حتى كلّت عيناه من الدموع! وعندما رآه في أحد الأيام قادماً من بعيد، فكأن الحياة قد دبّت في قلبه مرة أخرى! قام وأخذه في حضنه، واتّساع حضنه كان كاتّساع قلبه، لقد كان عائداً من معيشته مع الخنازير، فرائحته كريهة! وشكله سيء، وصحته متأخرة، وملابسه مقطّعة. ولكن الأب لم يأنف من هذه الصورة، التي عاد عليها ابنه، ويقول الابن هذه العبارة الخالدة: "**أخطأتُ إلَى السَّماءِ وقُدَّامَكَ، ولستُ مُستَحِقّاً بَعدُ أنْ أُدعَى لَكَ ابناً**" (لو١٥: ١٨). وعندما أراد الابن أن يكمل "**اِجعَلني كأحَدِ أجراكَ**" (لو١٥: ١٩)، أوقفه أبوه، وهنا تظهر الأبوة والمحبة الحقيقية، فباب التوبة مفتوح ولا يُغلَق.

هذا هو اتساع القلب، وهنا أمر الأب أن يُحضِروا له الحُلَّة الأولى والحذاء والخاتم. "**فقالَ الأبُ لعَبيدِه: أخرِجوا الحُلَّةَ الأولَى وألبِسوهُ، واجعَلوا خاتَماً في يَدِهِ، وحِذاءً في رِجلَيهِ، وقَدِّموا العِجلَ المُسَمَّنَ واذبَحُوهُ فنأكُلَ ونَفرَحَ**" (لو١٥: ٢٢ ـ ٢٣). وذبح له أبوه العجل المُسَمَّن. إن هذا العجل كان يُعدّ من أجل زواج الابن الكبير، فكسر التقليد الاجتماعي الذي كان معمولاً به في ذلك الزمان!! وفوق كل هذا أخذه في حضنه، وهيَ علامة منظورة تدل على القلب الواسع.

وهكذا الأبوة في كنيستنا، فلا يستطيع أحد أن يحمل لقب أب ويُغلِق أحشاءه، فما دام حمل لقب أب بالجسد أو بالروح، عليه أن يفتح أحشاءه على الدوام، ويتّسع قلبه لكل أحد.

وكنيستنا تأخذ قصة هذا المثل، وتعلّمها لنا في بـدايات الصـوم الكبـير مـن كل عام، لكي ما نفهم أننا نصوم حتى يتّسع قلبنا، فأنـت تُمـارس عبادتـك حتـى يتّسع قلبك، وتكون في علاقة مع مسيحك، لكي ما يتسع قلبك.

**سادساً: مَثَل الحنطة والزوان.**

الأرض مزروعة حنطة (قمح)، والزوان شـكله يشـبه شـكل القمـح، ولكنـه نبات سام، فمن كان يعمل في الحقـل جـاء وسـأل صـاحب الحقـل: هـل أقـوم بخلع الزوان؟ أجـاب لا، دعهـما ينميـان معـاً: "**دَعُوهُما يَنميانِ كِلاهُما مَعاً إِلَى الحَصادِ**" (مت١٣: ٣٠).

وهكذا القلب الواسـع، وفي وقـت الحصـاد يـأتي الحصَّـادون ويميِّـزون بـين الحنطة والـزوان، فـالزوان يُحـرَق بالنـار، والحنطـة تؤخَـذ كطعـام: "**وفي وقتِ الحَصادِ أَقُولُ للحَصَّادين: اجمَعُوا أولاً الزَّوانَ واحزِمُوهُ حُزَماً ليُحرَقَ، وأمَّا الحِنطَةَ فاجمَعوها إِلَى مَخزَني**" (مت١٣: ٣٠)، فمن صفات القلب المتَّسع أنه طويل البال.

**سابعاً: على الصليب.**

تعال أنقلك معي إلى يوم الصَّلب، فنجد ربنا يسوع مُعلّـق عـلى الصـليب، وأمامه أُناس تشتم وتصيح وتصرخ: اصلبه اصـلبه. وعـلى جانبيـه لصَـيْن: واحـد على يمينه، والآخَر على يساره، وأمامه من على بُعْدٍ أُمه العذراء مريم تبكي ...

وعليك أن تتخيَّل الجو المشحون في هذه الساعة: الجنود الرومان، والكهنة والشعب يصيحون: "اصلبه اصلبه"، والمسيح وهو معلّـق عـلى الصـليب يقـول: "**يا أَبَتاهُ، اغفِرْ لهُمْ، لأَنَّهُمْ لا يَعلَمُونَ مـاذا يَفعَلُـونَ**" (لـو٢٣ : ٣٤) ... مـا هـذا القلـب الواسع يا ربي يسوع!

ونجد في باقي المشهد ما يلي، اللِّص الشمال يُعيِّرُ المسيح قائلاً: "**إنْ كُنتَ أنتَ المَسيحَ، فخَلِّصْ نَفسَكَ وإيّانا**" (لو٢٣ : ٣٩)، أمَّا اللِّص اليمين فنجده يقول: "**اذكُرني يارَبُّ مَتَى جِئتَ في ملكُوتِكَ**" (لو٢٣ : ٤٢)، وبالطبع لم يقل هذه الكلمات في جو هادئ، بل قالها في جو كله صخب وضوضاء وصراخ ...

وهنا يجيبه المسيح قائلاً: "**الحَقَّ أقولُ لكَ: إنَّكَ اليومَ تكُونُ مَعي في الفِردَوْسِ**" (لو٢٣ : ٤٣)، ما هذا يا يسوع؟! وما هذا القلب المتّسع؟!

وفي وسط كل هذه الأحداث المؤلمة، لم ينسَ أُمه العذراء مريم، فنظر إليها ووجدها تبكي، فقال لها وهو يشير إلى تلميذه يوحنا: "**يا امرأةُ، هُوذا ابنُكِ**" (يو١٩: ٢٦)، ثم قال ليوحنا: "**هُوذا أُمُّكَ**" (يو١٩: ٢٧). هذه مجرَّد مشاهد من الكتاب المقدَّس عن القلب المتَّسع.

## أمثلة من تاريخ الكنيسة

بعد أن تكلّمنا عن القلب المتسع بأمثلة من الكتاب المقدّس، سنتحدّث الآن عن أمثلة من تاريخ الكنيسة.

### ❖ القديس أبو مقار:

كان هذا القديس مُدبِّراً في البرية، وفي أحد الأيام أتى إليه بعض الرهبان، ليشكوا له من راهب ينام في الكنيسة باعتبار أن الكنيسة ليست مكاناً للنوم، بل مكان للعبادة واليقظة والصحو ...

فتخيل معي ماذا سيفعل معه أبونا أبو مقار؟ هل سيعطي له عقاباً؟ أم قانوناً؟ أم سيطرده؟ أم ماذا؟ ... إن أبو مقار بقلبه المتّسع قال: "اجري واحضر له مخدة حتى يسند عليها رأسه!".

فلا يظن أحد، أن الرهبان بسبب معيشتهم في البرية أصبح لهم القلب الجامد أو القاسي! فالراهب كلما عاش بالروح في البرية، ازداد حنيناً واتساع قلب، وكأنه يحمل آلام العالم كله في صلواته، رغم وجوده في البرية.

وتذكر أيضاً القصص الرهبانية، عن راهب اتُّهِمَ بخطية الزنا، فما كان من هذا القديس إلا أنه ذهب إليه وستر عليه! حتى أنه سمع صوتاً من السماء يقول له: "طوباك يا مقاره لأنك تستر عيوب الآخَرين مثل خالقك"، وقيسوا على هذا أمثلة كثيرة ...

## قصص من الواقع

هناك قصة جميلة تحكي عن چنرال روسي، وذلك أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث كان قائداً كبيراً، وفي إحدى المرّات، وهو ساهراً مع بعض قوّاده، لوضع خطة الحرب، وكان الجو شتاء، والبرد قارساً، وعند الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وجد هذا القائد أن قوّاده العشرة قد أصابهم التعب والإرهاق، فأراد أن يشجعهم، فدعاهم إلى تناول العشاء في منزله، وتعجّب القادة كيف يدعوهم، فأكد لهم هذا الچنرال على دعوته، وأن زوجته سوف ترحّب بهم جداً، وبالفعل أخذهم هذا القائد إلى بيته، ودخل إلى زوجته حيث كانت نائمة، فأيقظها وطلب منها إعداد الطعام لقوّاده.

ففوجئ بها تصيح بغضب شديد، ولكنه بدأ يُهدِّئ من ثورتها، وعندما انتهت من صياحها وهدأت، قامت وارتدت أفضل ما عندها من ملابس، ودخلت ورحّبت بهؤلاء القادة واجتهدت في أن تُعدّ لهم المائدة ...

وهذا هو القلب الواسع، فإنه برغم من خطأ الآخَر أو عدم لياقته في التصرُّف، إلا أنها احتوت الموقف بقلب واسع، فما رأيكم إن كانت قد أصرت على عدم النزول؟ سأترك الرد لخيال كل واحد منكم ...

هناك قصة أخرى، عن أُم لها ولد وبنت صغيرين وهم: "چون وسالي"، ففي أحد الأيام، وبعد أن قامت الأم بترتيب البيت، قالت لهما: سأذهب إلى السوق، فلا تُفقِدا المنزل ترتيبه، وبعد خروجها ... چون (٩سنوات) قال لأخته سالي (٤سنوات) تعالي لكي ما أقوم برسمك ...

وأحضرا الألوان والورق، وجلسا على الأرض للرسم، ولكم أن تتخيلوا ما سيحدث أثناء الرسم من فقدان البيت لترتيبه ونظافته، ولم يستيقظا من هذا الحُلم الجميل، إلا وماما تفتح الباب!

فجمدا الطفلان في مكانهما من الخوف! ودخلت ماما فوجدت عدم الترتيب والفوضى في المكان، ولكنها أدركت بحِسها وبقلبها المتّسع، أن چون كان يقوم برسم سالي فأخذت الورقة التي أمام چون، وقالت هذه سالي ... ولكي ما تنزع الخوف من قلب هذا الطفل الصغير " چون " أخذته في حضنها، وقبّلته، وأزالت عنه الخوف، وبالتأكيد هيَ لم تأخذه في حضنها فقط، بل أخذته في قلبها المتسع ....

وچون هذا عندما كبر، صار فناناً عالمياً، فسألوه كيف وصلت إلى أن تكون فناناً عالمياً، قال هذه الإجابة الجميلة: "قُبلة أمي هيَ التي جعلت مني فنّاناً عالمياً".

**وإليكم قصة أخرى ...** في إحدى المرّات كان يوجد مؤتمر عالمي حضره أربعون خادماً وكاهناً، من أربعين دولة من أفريقيا وأسيا وأوروبا، وكانوا مجتمعين، حيث يجلسون في قاعة على شكل مربع، كل ضلع به عشرة أفراد، والمُحاضِر في المنتصف.

وهنا وقف المُحاضِر وقال لهم: إن إدارة المؤتمر قرّرت أن تعطي مليون جنيه لأحد الخدام، ونريد أن نعرف ماذا سيفعل كل خادم بهذا المبلغ؟ فقال أحدهم: سأبني به مدرسة في منطقة خدمتي، وآخَر قال: سأبني مستشفى

صغيرة ... وآخَر قال: سأعمل طريق بالأسفلت إلى مكان القرية التي أخدم بها وهكذا ... حتى جاء دور أحد الخدام، فقال: إن كانت إدارة المؤتمر قد قرّرت أن تعطي المؤتمر مليون جنيه، فأنا سأخذ هذا المبلغ، وأقوم بتقسيمه على جميع الموجودين حتى يُفرِح الجميع مخدوميهم، وكانت هذه هيَ الإجابة المقبولة، والتي تدل على القلب المتَّسع.

**ومن القصص الجميلة أيضاً:** إنني عندما كنت في زيارة أرمينيا، وجدتهم يقدّمون رماناً في وجبة الفطار، وكذلك في وجبتي الغداء والعشاء، حتى عندما أرادوا أن يقدموا لي هدية كانت على شكل رمانة.

فتعجبت وسألت: لماذا الرمان بالتحديد؟! فقالوا إن الرمان هو الفاكهة الرئيسية لنا، وشكل الرمانة يُعبّر عن شكل الكنيسة، وشكل قلب الإنسان.

فالغلاف الخارجي يشبه الغلاف الخارجي الذي كان على خيمة الاجتماع قديماً.

والحبوب الداخلية هيَ حبوب مليئة بالعصير الأحمر، الذي يرمز لدم المسيح، الذي يهبنا الثبات والحياة في المسيح.

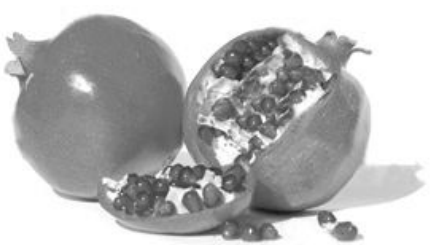

وكل حبة بها بذرة صغيرة، وهيَ ترمز للإيمان. وحبوب الرمان نجدها مرصوصة بجانب بعضها رصّة بديعة ومتجاورة، فلا يوجد بها فراغات.

والأجمل من ذلك هو القشرة البيضاء التي نجدها بداخل الرمانة على كل مجموعة من الفصوص، وهيَ ترمز إلى المحبة البيضاء النقيّة، التي تربط الجميع.

والرمانة كلها تمثل قلب الإنسان، الذي يجب أن يتّسع للعديد من البشر.

**أولاً: يتّسع للتنوع.**

الحياة ليست شكلاً واحداً، فالبشر ليسوا متشابهين، فكل إنسان فريد، لذلك يُقال عليه: فرد بمعنى فريد، فالإنسان يسمى: microcosm بمعنى العالم الصغير، ويُسمى العالم الذي نعيش فيه: macrocosm العالم الكبير.

وكل إنسان يصلح للملكوت، إن سار في إيمانه بالمسيح، وسار في حياته الروحية بطريقة سليمة، فقلب الإنسان يجب أن يتّسع للتنوّع، فالبشر ليسوا لوناً واحداً، أو شكلاً واحداً، أو لغةً واحدةً، وهكذا صنع المسيح على الصليب.

**ثانياً: يتَّسع لضعف الآخَر.**

هناك نوع من الأشخاص يذل الآخَر على خطأ اقترفه طوال العمر، ونوع من الآباء يرفضون أخطاء أبنائهم ويذكرونها لهم بالتفصيل وبالتاريخ.

فالقلب المتّسع يا إخوتي، يسامح ... ويصفح ... وأيضاً ينسى ... فالمسيح عندما أحضروا له المرأة الخاطئة، فهيَ إنسانة في عار، وتخيلوا العار كامرأة شرقية في هذا الموقف! وبعد كل هذه القصة يقول لها: **"أما دانَكِ أحَدٌ؟ فقالتْ لا أحَدَ، يا سيِّدُ! فقالَ لها يَسوعُ: ولا أنا أَدينُكِ. اذهَبي ولا تُخطِئي أيضًا"** (يو٨: ١٠ ـ ١١)، هذا هو القلب المتسع، فالقلب المتسع يتّسع لضعف الآخر.

**ثالثاً: يتَّسع للمستقبل.**

هناك إنسان قد يخطئ مثل الابن الضال، لكن أباه عندما أراد أن يتحدَّث معه، لم يتكلَّم عن الماضي السيء ولكنه كلَّمه عن المستقبل، فقال: **"ابني هذا كانَ مَيِّتاً فعاشَ، وكانَ ضالاً فوُجِدَ"** (لو١٥: ٢٤)، فلنغلق الماضي ونبدأ صفحة جديدة.

وهكذا صنع المسيح مع بطرس الرسول، ومع يهوذا، واللِّص اليمين الذي قُبيل أن تنتهي حياته، قُبِلَت توبته وانفتح أمامه الفردوس ... هذا هو المسيح، وهذه هيَ المسيحية.

**رابعاً: يتَّسع للفكر الجديد.**

بمعنى ألاّ يكون له فكر قديم، فبولس الرسول كان فريسياً يهودياً، يضطهد كنيسة اللَّه بإفراطٍ، وكان اسمه كفيل بأن يُخيف المسيحيين، فهربوا من أورشليم إلى دمشق. ولكنه سعى وراءهم، فكان اسمه مُرعِب؛ ثم ظهر له المسيح على أبواب دمشق، وهنا تغير قلب شاول وقال: "**يارَبُّ، ماذا تُريدُ أنْ أفعَلَ؟**" (أع ٩ : ٦)، وكأنه يقول له: أنا يارب عجينة في يديك استخدمني كما تريد ... أنا يارب من يدك اليمين إلى يدك الشمال ...

ثم عندما يبدأ بولس الرسول (شاول) خدمته، نراه مفكراً ... ولاهوتياً ... وعندما تُعرَض عليه مشكلة يستطيع حلها، ويكفي أن أذكر أمامكم مشكلة العبودية التي كانت أيام فليمون وأُنسيموس.

وقد وردت القصة في رسالته إلى فليمون، حيث أرسل بولس وهو في السجن، إلى فليمون يقول له، أُنسيموس الذي سرقك وهرب، اقبله نظيري، بمعنى اقبله كأنه أنا، وإن كان عليه شيء، فأنا سأقوم بدفعه لك.

"**فإنْ كُنتَ تحسِبُني شَريكاً، فاقبَلهُ نَظيري. ثُمَّ إنْ كانَ قد ظَلَمَكَ بشَيءٍ، أو لكَ عليهِ دَينٌ، فاحسِبْ ذلكَ علَيَّ**" (فل١: ١٧ـ ١٨)، ثم يستكمل فيقول عنه: إنه كان غير نافعٍ، وصار نافعاً: "**أطلُبُ إليكَ لأجلِ ابني أُنسيمُسَ، الذي ولَدتُهُ في قُيودي، الذي كانَ قَبلاً غيرَ نافعٍ لك، ولكنهُ الآنَ نافِعٌ لكَ ولي**" (فل١: ١٠ـ ١١).

فكلمة أُنسيموس معناها: "نافع"، رغم أنه كان غير مفيد وأيضاً لصّاً، ولكن أصبح نافعاً ومفيداً لأنسيموس ولبولس أيضاً.

ويذكر التاريخ، أن أنسيموس صار إنساناً تائباً، وبعض الكتب تذكر أنه صار كاهناً، وخدم ونجح في خدمته.

فالقلب المتّسع يتسع للفكر الجديد، والقلب الضيق لا يعيش زمنه ... ولا يعيش حياته ... فالزمن يجري، وهو يعيش في عالم آخَر ...

**خامساً: يتَّسع للتائبين.**

القلب المتّسع يتّسع لكل تائب، فمهما كانت خطية الإنسان، باب التوبة مفتوح ... ومهما كانت ضعفات الإنسان ومهما استطالت هذه الخطايا، باب التوبة مفتوح للجميع.

وعندما نقرأ قصة "مريض بيت حسدا"، نجد أن الرب يسأله: "**أتُريدُ أنْ تبرأَ؟**" (يو ٥ : ٦)، فيُجيب: "**يا سيِّدُ، ليس لي إنسانٌ يُلقيني في البِركَةِ مَتَى تحَرَّكَ الماءُ**" (يو ٥ : ٧). فقال له يسوع: "**قُمِ. احمِلْ سريرَكَ وامشِ**" (يو ٥ : ٨).

وهذه صورة من صور التوبة، فبعد ٣٨ سنة في الخطية، حيث كان هذا الإنسان مطروحاً في المرض بسبب الخطية، قام ومشى.

القلب المتّسع يتّسع لكل تائب، والتوبة بابها مفتوح دائماً أمام كل إنسان، مهما كانت طبيعة خطيته ونوعيتها، ومهما كان الزمن الذي صُرِفَ في هذه الخطية، فالقلب المتّسع يتسع لكل هذا ...

وعندما نقف أمام الديان العادل، هو يرى كل شيء وهو الذي سيحكم، فالقلب المتّسع يحتاجه كل أب وأم، وكل معلم وكل خادم ... القلب المتّسع يحتاجه كل الإكليروس كُلٌّ في موقعه وفي مسئولياته.

القلب المتسع يحتاجه كل من يُرشد، ويقدّم المشورة. القلب المتَّسع يحتاجه قادة الفكر، وقادة الثقافة، وقادة الاستنارة، وقادة التنوير ...

هـل تعلمـون لمـاذا القـديس يوحنـا الـذهبي الفـم أكـثر شـهرة مـن كـل القديسين، ويسمونه الذهبي الفم؟ ذلك ليس لأن لسانه كان كالسـان الـذهب، ولكن بالحقيقة لأن قلبه كان كقلب الذهب.

ولذلك كتاباته وأقواله هيَ الأكثر شهرة بين كل كتابات الآبـاء، بـل والأكـثر شعبية، فكثير منا يحفظ بعض عباراته وله هـذه العبـارة الرائعـة: **"أي مصـباح بلا نور، وأي مسيحي بلا حُبٍّ"**، بمعنى إن وُجِد مصباح لا بـد أن يوجـد النـور، وإن وُجِد مسيحي، فلا بد أن يوجد الحب لكل أحد.

فأنت تحتاج أيها الحبيب، في مواجهة مواقف الحياة المتنوّعة ومشـكلاتها، إلى الفكر المنفتح، وإلى اليـد المفتوحـة، بمعنـى يـد العطـاء، ولـيس يـد البخـل، فالبخيل له القلب الضيق؛ ولأن القلب هو الـذي يحـرّك اليـد، فاليـد المنبسـطة لكل أحد تُعبّر عن قلب فيَّاض بالحـب، وأيضـاً تحتـاج إلى الأُذن المنفتحـة، وإلى الفم المنفتح، ولا تنسَ الوصية التي ذكرهـا بـولس الرسـول في رسـالته إلى أهـل كورنثوس: **"فمُنا مَفتوحٌ إليكُمْ أيُّها الكورِنثيّونَ. قَلبُنا مُتَّسِعٌ. لستُمْ مُتَضَيِّقينَ فينا بل مُتَضَيِّقينَ في أحشائكُمْ. فجَزاءً لذلكَ أقولُ كما لأولادي: كونـوا أنـتُمْ أيضًا مُتَّسِعينَ"** (٢كو٦ : ١١ ـ ١٣).

فعندما تصلّي، تذكَّر هذه الوصـية، وقـل لـه: "يـارب إن كـان قلبـي ضـيق أو شحيح أو بخيل أو غير قادر على أن يسع الناس، أعطِني أنت يارب قلبك" ...

لو أمكن أن تحضـر ثمرة الرُّمان وتضـعها أمامـك وتجعلهـا مثـالاً ونموذجـاً، وقُل له: "يارب أريد أن يكون قلبي هكذا عمران بالحب لكل قلب آخر" ...

لا تنسَ فضيلة اتساع القلب بالحب للكل، واطلـب مـن الـرب أن يعطيـك هذه النعمة.

# الروح المتضع

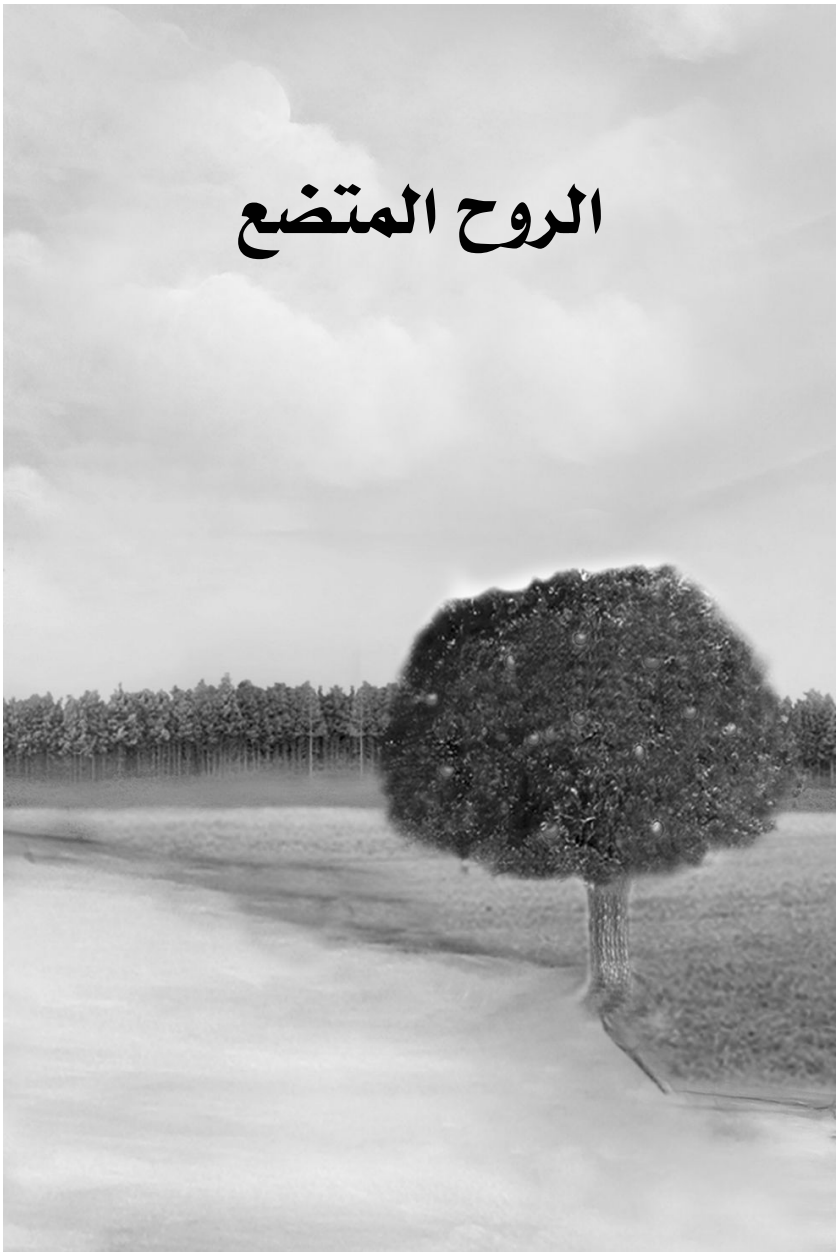

"لأَنَّهُ هكذا قال العَلِيُّ المُرْتَفِعُ، سَاكِنُ الأبدِ، القُدُّوسُ اسْمُهُ: في المَوْضِعِ المُرْتَفِعِ الْمُقَدَّسِ أَسْكُنُ ومعَ المُنسَحِقِ والمُتَوَاضِعِ الرُّوحِ، لأُحْيِيَ رُوحَ المُتَوَاضِعِينَ، وَلأُحْيِيَ قَلْبَ الْمُنسَحِقِينَ" (إش ٥٧ : ١٥).

الروح المتضع هو المفتاح الثالث في سلسلة مفاتيح الحياة الناجحة، وهو الذي يُكمل الصورة الجميلة، التي تحدَّثنا عنها في الأبواب السابقة، ولكن قبل أن ندخل في شرح هذا المفتاح، أريد أن ألفت انتباهك عزيزي القارئ إلى أنه لا يمكن أن يمتلك الإنسان مفتاحاً واحداً فقط، بمعنى أنه لا يصلُح أن يكون فكرك منفتحاً، وقلبك ضيقاً، ولا يمكن أن يكون لك القلب الواسع، ولا تمتلك الروح المتضع، فالثلاثة كما يقولون One package (مجموعة واحدة).

والحقيقة إنَّ نقص أحد هذه المفاتيح الثلاثة، يُعطّل مسيرة الإنسان تماماً، روحياً، واجتماعياً، وكنسياً. ويُعطّل أيضاً مسيرة المجتمعات، ومسيرة الخدمة، ومسيرة الكنيسة.

والأصعب من كل هذا، إنه إن وُجِد شخص في موقع مسئولية، صغُرت كانت أم كبُرت مسئوليته ولا يمتلك هذه المفاتيح الثلاثة، فإنه يعطّل كل شيء وينطبق عليه المثل الشعبي: "يعطّل المراكب السايرة".

وسنتكلم هنا عن المفتاح الثالث وهو الروح المتضع. فالروح المتضع كالطائر، له جناحان، جناح هو العقل المنفتح، وجناح آخَر هو القلب المتّسع، وبذلك يكون الإنسان سائراً في الطريق السليم.

إن المدقّق في حياة ربنا يسوع المسيح، يجده عَمل معجزات ... قدّم تعاليم ... عمل مقابلات ... شرح أشياء كثيرة، إلى جانب اللقاءات الفردية، التي تمت بينه وبين تلاميذه، واللقاءات الجماهيرية مثل العظة على الجبل، لكن ظل المسيح محتجز درساً لكي ما يعلّمه لتلاميذه في النهاية، فقبل الصليب بساعات قليلة، أحضر تلاميذه وغسل لهم أرجلهم! وأرجوكم أن تعيشوا معي في هذا المفهوم، لماذا لم يقم المسيح بهذا العمل في بداية خدمته؟ ولماذا بعد ثلاث سنين من الخدمة العلانية يقوم بغسل أرجل تلاميذه؟

ذلك لأن هذا أهم درس عند الإنسان الذي يخدم بصفة عامة، وليس خدمة الكنيسة فقط، فالذي يخدم يجب أن يمتلك الروح المتضع.

السيد المسيح انحنى ...! وكنيستنا تعلّمنا هذا الدرس في قداس اللّقان يوم خميس العهد، حيث تقوم بعملية رمزية وكأننا في محضر هذه القصة، عندما انحنى المسيح وغسل أرجل تلاميذه.

فلا يجب أن تفارقك هذه الصورة يا خادم المسيح، ويا من أنت مسئول في أية مسئولية، كبيرة كانت أم صغيرة، على نطاق الأسرة أو الرعية، فلا تنسَ هذا الدرس القوي: المسيح انحنى وغسل أرجل تلاميذه ...

وعندما امتنع أحد التلاميذ وهو بطرس، الذي كان دائماً مندفعاً، قال له الرب يسوع هذه العبارة الجميلة: "**لستَ تعلَمُ أنتَ الآنَ ما أنا أصنَعُ، ولكنَّكَ ستَفهَمُ فيما بَعدُ**" (يو١٣: ٧) بمعنى إنك ستفهم قيمة هذا الدرس بعد قليل.

ولذلك دائماً أقول، أن الكنيسة ليست بها عملية الترقية إلى فوق، مثل أن تترقّى من موظف إلى رئيس قسم إلى مدير إدارة إلى ... فهذه ترقية العالم.

أما المفهوم الروحي للترقِّي في الكنيسة وفي الخدمة فهو أن تنحني حتى الأقدام، فإن كنت خادماً مثلاً وأصبحت أمين خدمة، فيجب عليك أن تنحني أكثر وأكثر، وهكذا ... فأول درس يشرح الاتضاع هو الدرس الأخير الذي قدَّمة المسيح قبل الصليب.

في الرب يسوع تظهر ليس فقط القدرة الإلهية التي من دونها لَـمَا كنا في الوجود، بل والمحبة الإلهية أيضاً، التي من دونها لكنا قد هلكنا جميعاً (لوقا ١٩: ١٠).

هذا التواضع علامة المسيح ـ كما يقول القديس أُغسطينوس ـ هو تواضع ابن اللَّه، تواضع المحبة. ولا بد من إتِّباع طرق هذا التواضع "الجديد"، لكي نمارس وصية المحبة الجديدة (أفسس ٤: ٢ ، ١بطرس ٣ : ٨ - ٩)، "حيث التواضع هناك المحبة"، كما يقول أُغسطينوس.

الدرس الثاني: هو عبارة قالها القديس مار أفرام السرياني تقول: "كما أن الجسد يحتاج إلى ثوب، كذلك النفس تحتاج إلى رداء التواضع"، فالذي لا تستطيع أن تفعله بجسدك، لا يجب أن تفعله بنفسك، فالنفس التي بلا ثوب الاتضاع هيَ نفس عارية، وتخيل مقدار الخجل والخزي الذي يلاحق مثل هذا الإنسان ذا النفس العارية.

والقديس الأنبا باخوميوس أب الشركة، سأله أحد تلاميذه قائلاً: ما هو أفضل منظر يمكن للإنسان أن يراه؟ فأجابه القديس قائلاً: إن رأيت إنساناً متواضعاً بقلبه، طاهراً، فهذا أعظم من سائر المناظر.

بمعنى أن صورة الإنسان المتضع الطاهر النقي، أفضل المناظر التي من الممكن أن تطالعها على الأرض! فالاتضاع هو شكل يخرج من جوهر الإنسان، وما أجمل أن يكون هذا الإنسان المتضع له أيضاً الفكر المنفتح والقلب المتَّسع، فمثل هذا الإنسان من ناحية لغة العالم نستطيع أن نقول أنه إنسان سوي،

ويكون بمثابة نجم لامع في السماء. القديس يوحنا الدرجي، وهو أحد آباء البرية، قال عبارة قصيرة، ولكنها قوية جداً فقال: "في الاتضاع الشفاء من الأوجاع" وكلمة "الأوجاع" تعني وجع الخطية، والأفكار الشريرة، وسوء الظن والنيَّة الخبيثة، وأيضاً الغموض الذي يوجد عليه الإنسان ... إلخ.

فوجع الخطية يُعطّل الإنسان، ويجعل علاقته مع غيره سيئة، وهناك مَثَل لطيف يقول: "إن من يجلس على الأرض لا يقع".

وهناك مَثَل ألماني يقول: "أفضل الحُلي هو التواضع"، فافضل شيء من الممكن أن يستخدمه الإنسان كنوع من الاكسسوار Accessories هو الاتضاع، والعالم يحتاج إلى المتضعين، وكما يقول الكتاب: **"طوبَى للوُدَعاءِ، لأنَّهُمْ يَرِثُونَ الأرضَ"** (مت ٥ : ٥)، فالمتضع يرث الأرض بسمعته ... واسمه ... وسيرته ... وحلاوة حياته.

ولكي أرسم في ذهنك صورة الاتضاع، سأذكر لك هذا المثل الجميل، من المعروف أن هناك ما يسمى "بالحوارات اللاهوتية" بمعنى أن الكنائس تجتمع وتتناقش معاً في بعض الأمور اللاهوتية، وقد يقضوا في هذه المناقشات شهوراً بل سنينَ دون الوصول إلى نتائج! وذلك بسبب الذات، ولذلك قيلت هذه العبارة الجميلة: "فيما يتجادل اللاهوتيون حول المسائل العقائدية يتسلل البسطاء إلى ملكوت السمَوات".

**وتتعدد الأمثلة عن الروح المتضع، نذكر منها:**

كما فعل بولس الرسول هنا **"أعرفُ إنساناً في المسِيح** (وهو بولس ذاته، لكنّه لا يورد اسمه) **قَبْلَ أربَعَ عشرَةَ سنةً ... اختُطِفَ هذا إلى السَّماء الثالثة"** (٢كو ١٢ : ٢) فهو أوّلاً يخفي اسمه.

كما فعل أيضاً يوحنّا الحبيب حين تكلّم "عن التلميذ الذي كان يسوع يحبّه"، وكان هو بالذات لكنّه اخفى اسمه.

أمّا بولس فلقد أخفى هذه الخبرات مدّة ١٤ سنة عن مسامع الجميع.

+ سأل أبٌ روحيّ تلاميذه: "مَن باع يوسف؟"، قالوا: إخوته. أجاب هو: لا، بل تواضعه. لقد أخفى على مَن اشتروه أنّه أخٌ لإخوته الذين باعوه، وأنّه يحمل كرامتهم ونسبهم وحقوقهم، وقَبِل ما وصفوه به كعبد حتّى أن يُباع!

+ سُئل أحد آباء البرية في القرن الرابع الميلادي (القديس الأنبا يوسف) أيهما أفضل الكلام أم السكوت؟! فأجاب قائلاً: إن كان الكلام من أجل اللّه فهو جيد، وإن كان السكوت أو الصمت من أجل اللّه، فهو جيد أيضاً. وهكذا جمع هذا القديس بين العقل المنفتح، والروح المتضع.

+ قد يتحدث أب مع ابنه في موضوع ما، ونجد أن هذا الابن يلتزم الصمت ولا يجيب، محاولاً بذلك أخذ شكل الاتضاع، رغم أن والده قد يكون في شدة الغضب والانفعال، والابن يقف في هدوء وصمت، فهل هذا سلام أم اتضاع؟ بالطبع لا.

+ يُحكى في سِيَرِ الآباء، أن القديس أبو مقار في أحد الأيام، أرسل تلميذه لكي يعدّ الكنيسة للصلاة، وهو في الطريق تقابل مع كاهن للأوثان، فقال له: عليك اللعنة يا خادم الشيطان! فما كان من كاهن الأوثان، إلا أنه ترك كل ما في يده وبدأ بضرب هذا التلميذ، حتى كاد أن يقتله، وتركه بين حي وميت، واستمر في عمله. ثم بعد فترة مرَّ أبو مقار من نفس الطريق، فرأى هذا الكاهن وهو يقطع الحطب، فقال له: طوباك يا رجل النشاط، وهكذا نجد الفرق بين الاثنين، فالتلميذ قلبه كان ضيقاً، فلَعنَ هذا الكاهن، أما أبو مقار فكان قلبه متّسع مع روحه المتضعة، فقال هذه العبارة الجميلة: "طوباك يا رجل النشاط".

فكانت هذه العبارة كالندى البارد، فترك كاهن الأوثان كل ما في يده، وذهب إلى أبو مقار يسأله، لماذا قلت لي هذه العبارة؟! فقال له: لقد وجدتك مستيقظاً مبكراً وتتعب وتجتهد في تسوية الحطب بكل همة ونشاط ...

وهنا نسأل أبو مقار، هل تمتدح كاهن أوثان؟! يجيب نعم إني امتدحه في هذا الجزء فقط، الذي هو جزء النشاط والعمل، فقلبي يتّسع للكل، لأني أملك الروح المتضع ...

الاتضاع ليس معناه أنك أقل من الآخَرين، ولا يعني أنك تُحقّر من إمكانياتك ومواهبك، فالمواهب نِعَم من عند اللَّه، يُعطيها لنا حتى نُكمل بعضنا بعض، فالاتضاع هو التحرُّر الكامل من التفكير في الذات.

وهذه هى مشكلة الإنسان، لذلك نجد الحروب في كثير من البلدان، فانتبهوا يا إخوتي لأن الذات هيَ العدو الأول المقيم في داخلنا، ولذلك سنضع بعض الصفات حتى ندرسها ونقيس عليها أنفسنا، لكي ما يعطينا اللَّه الروح المتضع.

**١ـ لا ينشغل بنفسه :**

أول صفة أن الإنسان صاحب الروح المُتّضع، لا ينشغل بنفسه مهما قيل عنه، ففي إحدى المرات شبَّه داود النبي نفسه بالحيوان فقال: "**أنا بَليدٌ ولا أعرِفُ. صِرتُ كبَهيمٍ عِندَكَ**" (مز٧٣ : ٢٢).

وبولس الرسول هذا القديس العظيم، قال عن نفسه: "**لأنّي أصغَرُ الرُّسُلِ، أنا الذي لستُ أهلاً لأنْ أُدعَى رَسولاً**" (١كو ١٥: ٩)، وقال أيضاً: "**وآخِرَ الكُلِّ – كأنَّهُ للسِّقطِ – ظَهَرَ لي أنا**" (١كو ١٥ : ٨).

كيف تقول عن نفسك هذا يا بولس؟! فأنت رجل اللاهوت ... وعالم ... وقارئ ... ودارس ... ومُتبحّر في علوم الشريعة ... وتتلمذت عند قدمي غمالائيل معلم الناموس، ومع كل هذا تقول عن نفسك "كأنَّهُ للسِّقطِ"! فهناك

مَن ينظر إلى نفسه فيجدها كبيرة جداً! فإن أردت أن تكون روحك متضعة، لا تنشغل بنفسك مهما قيل عنك، فقط كُنْ أميناً في طريقك ...

**٢ـ طيب القلب متسامح:**

الصفة الثانية، صاحب الروح المتّضع يتحاشى الخصومة مع الناس، ويود أن يحيا مع الكل في سلام، فهو دائماً بشوش مبتسم في وجه الآخرين، له ملامح هادئة مُريحة، يتصرّف في كل الأمور بهدوء، فهو هادئ الفكر والقلب والأعصاب وسهل في التعامل مع الآخرين.

هو مملوء حناناً وعطفاً حتى على مَن يُخطئ في حقه، فهو سرعان ما يصفو ويسامح، ولا يجعل الحقد يملأ قلبه، فهو على قدر إمكانه لا يُغضِبَ أحداً. إنه حليم واسع الصدر، طويل البال، سهل التفاهم مع الآخَرين، يأخذ ويعطي معهم في هدوء. هو ليس سهل الاستثارة، مهما أراد أحد أن يثيره، يتلقى ذلك في موضوعية، ولا يثأر لنفسه، يوضّح الأمور بغير انفعال، ويضع أمامه قول سليمان الحكيم: "**الجوابُ اللَّينُ يَصرفُ الغَضَب**" (أم ١٥ : ١).

لذلك نجده يتمتّع بسلام داخلي، كما قال داود النبي في المزمور:

"**إنْ يُحاربني جيشٌ فلن يَخافَ قَلْبي، وإنْ قامَ عَلَيَّ قتالٌ ففي هذا أنا أطمَئِنُّ**" (مز ٢٧ : ٣).

لا تتوافر فيه صفة الدهاء والمكر. حديثه بسيط بل هو إنسان بسيط، صريح، لا يُعقِّد الأمور.

**٣ـ دائماً يشكر:**

أما الصفة الثالثة، فهيَ أن الشخص صاحب الروح المتضع دائماً يشكر، يُقمِعُ ذاته، فلا يتذمَّر على شيء، بل يشكر في كل شيء، أما غير المتّضع فدائماً يشكو،

وهذه نقطة خطيرة للغاية، فالشخص الذي له الروح المتضع يـرى كـل شيء بـه حلاوة وترتيب، ويد اللَّـه هيَ التي تعمل وترتب كل شيء ...

ونتذكّر هنا قصة القديس الأنبا موسى الأسود، عندما أرادوا رسامته كاهنـاً، وعند دخوله الكنيسة، قال الأب البطريرك: "مَـن الـذي أدخـل هـذا الأَسـود إلى هنا"، وما كان من قديسنا إلاّ أنه خرج بكل هـدوء! قـائلاً: مَـن الـذي أتى بي إلى هنا؟! فلم يتذمَّر أو يشكو أو يصـرخ أو يقول مثلاً: هـل هـذه آخـرة التوبـة ... وبعدما خرج أرسل في طلبه الأب البطريرك، وقـام برسـامته كاهنـاً، وكـان هـذا مجرد اختبار لذات هذا القديس العظيم.

وفي إحدى المرات، دَعَى الآباء الأنبا موسى إلى محاكمة أحد الإخوة كان قد أخطأ، فحضر القديس وهو يحمل جوالاً على ظهرة مليء برمـال البريـة! حيـث كان الجوال به ثقب تنزل منه الرمال طوال الطريق، وعندما سأله الآباء ما هذا الذي تحمله؟! قال هذه العبارة الجميلـة: "هـذه خطايـاي وراء ظهـري تجـري دون أن أبصـرها، وقد جئت اليوم لإدانة غيري على خطاياه" ...

فالتذمُّر لا يعـرف طريـق الشـخص الـذي لـه الـروح المتضـع، هـو في كـل الأحوال يقول: اللَّـه هو الذي يدبر كل شيء ...

### ٤ ـ يعرف مسئولياته وحدوده:

الصفة الرابعة للشخص الذي له الروح المتضع، أنه شخص يعرف مسـئولياته وحدوده تماماً، فقد نجد شخصاً لا يعرف حدوده، وهذا الأمر نجده كثيراً جـداً، فالابن قد لا يعرف حدوده! وهكذا الحال مع الأب أو الأم أو الخادم أو ... إلخ.

القديس يوحنـا المعمـدان، هـو شـخص كـان مشـهوراً جـداً في زمنـه، وكـان مُعتَبَـراً، ومع هذا عندما جاء المسيح قال: "**يَنبَغي أنَّ ذلكَ يَزيدُ وأنِّي أنا أنقُصُ**" (يو٣: ٣٠)، فقد كان يعرف حدوده جيداً، فأحيانـاً عنـدما تـأتي المشـكلات، نجـد

البعض يتصرّف بطريقة يتعدّى بها حدوده! وقد يكون ذلك باللفظ أو بالفعل أو بالتصرُّف ..

وعندما نتأمل في قصة القديس الأنبا صرابامون أبو طرحة، وقد كان أسقفاً مُباركاً، وأعطاه اللّه موهبة إخراج الشياطين، ففي أحد الأيام طلب منه الأب البطريرك إخراج الشيطان من أحد الأشخاص فاعتذر!

وعندما ألحوا عليه، قَبِلَ بشرط أن يُصلّي لهذا الشخص بصليب الأب البطريرك، رغم أن البابا يُدرك تماماً أن هذه الموهبة عند القديس الأنبا صرابامون وليست عنده هو، وهذه مهارة عند الإنسان.

فيجب على كل شخص أن يعرف حدوده، فالشخص الذي له الروح المتضع يعرف مسئولياته وحدوده تماماً ويقوم بها، ولا يُكسّل.

فمثلاً الراهب الذي اختار طريق الرهبنة، يجب أن يعرف أن قوّته ليست في مال، ولا في زي كنسي، ولا في ملبس، ولا في مكان، ولا في لقب، ولا في فكر، ولا في عمل معين يقوم به، ولا في مهارة، ولكن قوّته في شيء واحد فقط هو اتضاعه.

فما الذي جعل العالم كله ينجذب إلى البراري المصرية، كما نقرأ في كتب القرن الثالث والرابع والخامس الميلادي في بدايات نشأة الرهبنة؟ وكيف أن هؤلاء الرهبان تركوا العالم وكل ما فيه، وانعزلوا في البراري؟ وما الذي جعل العالم كله يجري وراءهم؟

إنه شيء واحد فقط، هو الاتضاع .. فهم لا يملكون شيئاً سواه، إذاً قوة الراهب ليست في اسمه أو شكله أو قوّته، بل هى في اتضاعه ... وهذا الاتضاع يظهر في طاعته، وفي علاقاته بإخوته وفي سلوكياته، وفي كلامه حتى في ملبسه أيضاً.

**٥ ـ يُكرّر بعض عبارات الصلاة:**

في لسانه دائماً عبارات يُكرّرها، مثل: يارب كَمِّل أيامنا بسلامك، أو يارب أعطِنا النهاية الصالحة، أو ارحمني يا اللّه ...

وتُقال هذه العبارات من القلب، فهو لا ينسى نفسه، ومن العبارات أيضاً: "اخطأت"، وهو لا يقولها بدون إحساس بل يقولها في مكانها، وفي الدير عندما يقول راهب لآخَر أنا أخطأت، من الممكن أن يعمل له ميطانية حتى الأرض! وذلك بسبب إحساسه، إنه أخطأ بالفعل في حق أخيه وأنا أكون في قمة السعادة، عندما أجد أم تعتذر لابنتها أو أب يعتذر لابنه، رغم أنه من المُفترض حدوث العكس باعتبار أن الصغير هو الذي يعتذر للكبير.

فكلمة أخطأت أو أنا آسف، لا تُقلل من كرامتك، بل تُظهر روح اتضاعك، فالشخص المتضع دائماً في لسانه بعض العبارات التي يُكررها، وتكشف ملامح عن اتضاعه الداخلي.

**قصة ...**

بدأت المفاوضات الخاصة بشراء مبنى كنيسة القديس يوحنا ـ في وِسْت كوفينا، كاليفورنيا ـ تتعثّر، إذ ظهرت مشاكل في الشراء.

قلق البعض، وبدأ الكثيرون يبحثون عن حلولٍ، فالأرض متسعة جداً، والشعب يتزايد، ولم يعد نشاط الكنيسة يحتمل تأجيل الشراء!

لقد أنهك المرض قُوى الشماس الشيخ الفريد حنا، لكن بقى قلبه الملتهب بنار روح اللّه القدوس شاباً لا يعرف الشيخوخة أو الضعف. كان يردد مع مسيحه: "أمَّا الجسد فضعيف، وأمَّا الروح فنشيط".

ماذا يفعل هذا الشماس المُنهَك القُوى بجسده المريض، والغني بروحه وإنسانه الداخلي؟! لقد شعر بالمسئولية كعضوٍ في الكنيسة ... إنه ليس بكاهن

ولا عضو في مجلس الشمامسة، لكنه عضو في جسد المسيح، كنيسة اللَّـه، لهـذا صمّم على شراء المبنى.

امتص موضوع شـراء المبنى كل تفكيره، وشغل أحلام يقظته ... لكـن مـاذا في يديه؟! انطلق في الصباح المبكّـر جـداً إلى الأرض الجديـدة المختـارة للشــراء، ودخل إلى حديقتها المتسعة ووجّـه أنظـاره نحـو مبنـى الكنيسـة. بسـط يديـه للصلاة يطلب عوناً إلهياً.

إنها كنيسة المسيح، إله كل المستحيلات! انحنى ليركع على العُشـب مؤمنـاً أن الرُّكب المنحنية تحرّك قلب خالق السماء والأرض ... ثـم قـام منتصـباً. وعـاد يكرر السجدات، واحدة تلو الأخرى، طالباً مـراحم اللَّـه، صـانعاً سـجداته ٤٠٠ مرة بالرغم من مرضه!

عاد إلى بيته والفرح يملأ قلبه، كأن أبواب السماء قـد انفتحـت لتسـتجيب صلاته وسجداته (ميطانياته) وشعر أنه كسب الكثير!

استعذب هذا العمل الخفي، فصار يكرره يومـاً فيومـاً دون توقُّـف، ليبـدأ صـباحه بالميطانيـات الأربعمائـة عـلى العُشـب ... وهكـذا نظـر اللَّـه إلى حبـه وتواضعه وغيرته وسمع له!

اشْتُرِيَ مبنى الكنيسة، وكان المساهم الأول هو هذا الشماس التقـي الـذي قدَّم قلبه وحبه وأسلوبه الروحي قبل أي تبرع مادي!

هذا هو الشخص ذو الروح المتضع، الشاعر بمسئوليته والدائم الصلاة.

### ٦ـ له تذكارات يومية أمامه :

الصفة السادسة، أن الشخص الـذي لـه الـروح المتضـع لـه تـذكارات يوميـة أمامه، وهو يُفكّر فيها كل يوم، فمثلاً كل يوم يُفكّر في التراب، فهو منـه وإليـه،

وفي الأديرة يتم عمل باب القلاية منخفض، لكي ما ينحني الراهب، وهو داخل إلى قلايته، ويتعلّم الاتضاع.

ومن التذكارات اليومية أيضاً السماء، فهل يأتي عليك يوم دون أن تتذكَّر السماء؟ فالإنسان الذي له الروح المتضع، يومياً يتذكَّر السماء، ويشتاق إليها، وكأن لسان حاله يقول: "**آمينَ. تعالَ أيُّها الرَّبُّ يَسوعُ**" (رؤ٢٢ : ٢٠). والذي له الروح المتضع، له انطباع خاص أن عمره مهما طال فهو قصير ... وذلك العمر يمثل التوبة والاستعداد.

فإن كانت التوبة منه وإليه، وإنْ كانت السماء اشتياقاً وفكراً، فالعمر هو توبة واستعداد، وصاحب الروح المتضع يُفكّر باستمرار، في اليوم الذي سيقف فيه أمام اللّه، فهو تذكار يومي للدينونة ...

وكما يقول الكتاب: "**مُخيفٌ هو الوُقوعُ في يَدَيِ اللَّهِ الحَيِّ**" (عب١٠: ٣١)، فالمتضع دائماً يفكّر، ويستعد، وينتبه، وهذا يجعله دائماً مستيقظاً لأبديته.

ومن التذكارات اليومية أيضاً، صُنع المحبة، فهو يسأل نفسه في كل يوم، هل صنعت عمل محبة هذا اليوم؟ هل خدمت إنسان؟ هل ساعدت إنسان؟ هل شجّعت إنسان؟ هل طيّبت خاطر إنسان؟ فصاحب الروح المتّضع له تذكارات يومية لا ينساها.

### ٧ـ يعيش كل حياته تلميذاً :

الصفة السابعة، لصاحب الروح المتّضع، إنه يعيش كل حياته تلميذاً، ودائماً يتعلم.

وإليكم هذه القصة اللطيفة، في أحد الأيام في خدمتي السابقة، سافرت إلى ليبيا للخدمة حيث كان لنا هناك بعض الكنائس، ولكنها كانت مغلقة، وذهبت مع بعض الأُسر لزيارة راهبات كاثوليك كنّ يخدمنّ هناك، حيث كنّ يعشنّ في

بيوت صغيرة ويخدمن من خلالها المجتمع المحلي، وطلبت منهنَّ مكاناً يصلح لعمل اجتماع كل أسبوع للأقباط الموجودين في هذه البلدة، وفي أثناء حديثنا، خرج أطفال هذه الأُسر التي كانت معي للعب في الحديقة الخاصة بمنزل الراهبات، حيث كانت الحديقة مزروعة ببعض الورود الجميلة، وقد أحسن الراهبات ضيافتنا ورحّبوا بإعطائنا مكان للاجتماعات، وعند خروجنا من عندهم ومرورنا بالحديقة، فوجئت بالأطفال قد قاموا بتقطيع كل زهور الحديقة، وكنت في وضع مُحرِج جداً، ولم أجد ما أقوله، فحتى الاعتذار لن يُجدي في هذه الحالة.

وقد لاحَظَت الراهبة إحراجي الشديد، ففوجئت بها تقوم بجمع هذه الزهور من على الأرض، وتضعها أمام تمثال العذراء الموجود في الحديقة، ثم قالت لي بابتسامة: لقد قطع الأطفال الزهور لكي ما نقوم بتقديمها للعذراء!

فلا يستطيع أن يقوم بهذا العمل، إلا صاحب الروح المتضع والفكر المنفتح والقلب المتسع، القلب الذي استطاع أن يسع هؤلاء الأطفال، وهم يلعبون ... ويمرحون ... ويقومون بقطع هذه الزهور ...

ومثال آخَر هو القديس أرسانيوس معلم أولاد الملوك، فعندما دخل للحياة الديرية في البرية تصاغر جداً، حتى أنه كان يسأل البسطاء من النساك والفلاحين، فسألوه كيف وأنت الذي كنت معلماً لأولاد الملوك، تسأل هؤلاء البسطاء؟! فأجاب: "درست اللاتينية واليونانية، أما ألفا فيتا التي يعرفها هذا المصري الأُميّ فلم أتقنها بعد".

وقصة أخرى تحكي عن شخص له معرفة كبيرة بالكتب، وكان يمتلك منها الكثير، وفي إحدى المرات كان يعبر الناحية الأخرى من النهر، ومعه بعض كتبه، وهو في الطريق أمسك بكتاب كبير، وسأل المراكبي: هل تعرف هذا الكتاب؟! فأجاب لا، فقال له لقد فات ربع عمرك! وبعد بضع دقائق أمسك بكتاب آخَر،

وسأل المراكبي ثانية: هل تعرف هذا الكتاب، إنه أعظم كتاب ... هل قرأته؟ فأجاب: لا، فقال له لقد فات ربع عمرك الثاني!

ثم قامت عاصفة شديدة، وبدأت المياه تدخل إلى المركب، فسأل المراكبي هذا الشخص: هل تعرف السباحة؟ فقال: لا، فقال له لقد ذهب عمرك كله! فالمتضع دائماً تلميذ.

علّم نفسك أن تتعلم من كل أحدٍ مهما كان، كبيراً أو صغيراً، ولد أو بنت، علّم نفسك دائماً أن تلتقط أية معلومة أو تصرُّف جيد، وهذا ما يُسمى التعليم بالالتقاط. فالإنسان يحتاج أن يكون تلميذاً، لكي ما يمتلك هذا الروح المتضع.

فدائماً في صلواتك، قل له: "يارب أعطِني الفكر المنفتح"... واجعل دائماً إنجيلك أمامك، وقراءاتك أمامك ومعاملاتك مع الآخَرين تكون واضحة، واجعل قلبك واسعاً لكل أحد من خليقة اللّه الواسعة.

وهذه الثلاث اطلبها من مسيحك باستمرار، قل له:

يارب أعطِني فكراً منفتحاً، وأنِر عقلي.

وأعطِني قلباً واسعاً، يتسع لكل أحد.

وأعطِني أيضاً يارب روحاً متضعاً،

لكي أستطيع أن أعيش، وأمجّد اسمك في حياتي كل يوم.

# تأمُّلات

# الفهرس


مقدمة: ..... ٥

تمهيـد: ..... ٧

الفكـر المنفتـح ..... ٩

القلـب المتَّسع ..... ٣١

الـروح المتَّضـع ..... ٤٧